

**معركة ملاذكرت (٤٦٣هـ / ١٠٧١م)
ودورها في فتح آسيا الصغرى
وأثرها على الأمبراطورية البيزنطية**

م. د. سوسن بهجت يونس
كلية اللغات / جامعة بغداد
وحدة حقوق الإنسان



ملخص البحث باللغة العربية

تعد معركة ملاذكرت التي حدثت سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م هي من أهم المعارك التي حدثت في التاريخ الإسلامي بصفة عامة وفي تاريخ السلاجقة بصفة خاصة وهي من معارك المسلمين مع الروم البيزنطيين....

ومن الجدير بالذكر فقد أوهم ألب ارسلان البيزنطيين الانسحاب إلى وادي ملاذكرت بهدف جر القوات البيزنطية الذين أخذت قواتهم بالتزايد على الرغم من قلة قوات ألب ارسلان، وكانت الدلائل تشير إلى ترجيح كفة الامبراطور رومانوس في المعركة. إلا أن ثبات المسلمين قد قلب موازين المعركة، وتم سحق القوات البيزنطية سحقاً تاماً ووقع آلاف منهم في الأسر بما فيهم الامبراطور البيزنطي، فضلاً عن عدم اشتراك قسم من قوات الفرنجة، وقد دارت بين الطرفين معركة ضارية في مدينة ملاذكرت، حيث هزمت فيها قوات الجيش البيزنطي، إذ انقسم في خلالها الجيش إلى جماعات صغيرة وتركوا الامبراطور يواجه السلاجقة لوحده. وتعد هذه الهزيمة نقطة تحول خطيرة في التاريخ البيزنطي، إذ ترتب عليها ضياع الأجزاء الشرقية من الامبراطورية البيزنطية وعدم استطاعة الامبراطورية الثبات بعد ذلك في وجه توسع السلاجقة في آسيا الصغرى. ونحن نتفق مع الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور بأن معركة ملاذكرت دعوة للحرب الصليبية في الغرب الأوروبي كرد فعل للكارثة التي حلت بالدولة البيزنطية سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م.



Abstract

Mansikert was very important battle in Islamic history, in general, and presely in Al- Salageica history.

The battle that was happened between muslims and Byzantion Roman.

The leader Alb- Arsalan decived Byzantion army by drawing off to Masntsikert valley making most of Byzantion army went there in spite of the huge army of Roman, that they could overcome in this battle, the stabil-ity of muslims army made them the winner.

The Byzantion army carshed completely and most of them were arrested Including the impire.

Morecour, some of Foreign army didn't. participate in the battle.

The battle was very hornble in that place , That Byzantion army defeated and divided to multi- groups leting the empire facing the salageica olane.

This defeat was a dengerous modifying point in Byzantion history, that the empire couldn't survive ather that battle facing Al- salageica dispersion in young Asia.

Saaeed Ashoor Abed- Al- Fatah mationed that Mantsikert was the in-vention to crasades in west euprian as reflektion for calamity happened to Byzantion state at 1071A. c\ 463h.



المقدمة

كان لقيام الدولة العربية الإسلامية وازدياد قوتها من القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي أثر واضح في تغيير معالم الخارطة السياسية للمنطقة، عما كانت عليه من ذي قبل الامبراطورية البيزنطية والفارسية، إلا أن دورها بدأت تتضاءل أثر حركة الفتح العربي الإسلامي التي قضت على امبراطورية فارس. واسقطتها بعد توسع القوة في الجزيرة أي الدولة العربية الإسلامية، وهذا يمثل عاملاً مباشراً في الصدام بين الامبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية بحكم الجوار الحدودي بينها وجهاً لوجه، مما أدى إلى ضعف قوة البيزنطيين الذين انهكتهم انتصارات الدولة العربية الإسلامية فضلاً عن سوء الأوضاع الداخلية التي سادت امبراطوريتهم، وبذلك انحسر النفوذ البيزنطي إلى درجة كبيرة، وخاصة في منطقة آسيا الصغرى وتحديداً أرمينيا الكبرى والقوقاز التي أصبحت تحت السيادة العربية الإسلامية.

استمرت تلك البلاد في تبعيتها للدولة العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، حتى بدأ الضعف يدب في الإدارة العربية في تلك الحقبة، مما أدى إلى قيام مجموعة من الإمارات والماليك التي تتمتع بشبه استقلال مع اعتراف رسمي بتبعيتها للخلافة العباسية، وأهمها أرمينيا الكبرى معلنة الانفصال عن الدولة العربية الإسلامية.

فبرز عدد من الأمراء رافعين لواء التمرد من أجل الاستقلال التام بحكم أرمينيا الكبرى معلنين الانفصال عن الدولة العربية الإسلامية، فوجد البيزنطيين الفرصة المناسبة للتآمر مع أولئك الأمراء لضرب الدولة العباسية التي تمثل أكبر قوة منافسة لهم، وبذلك وجد كل من الأرمن والبيزنطيين في الطرف الآخر ظالتهم المنشودة.

نجد السلاجقة الأتراك جاءوا من براري القزقيز في تركستان واستقروا في بلاد ما وراء النهر سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٨م واعتنقوا الدين الإسلامي، وكان اسم زعيمهم طغرلبيك، وبعد تحركاتهم نحو الجهة الشرقية الامبراطورية البيزنطية ووصلوا إلى عاصمة الخلافة العباسية بغداد فدخلوها سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م وبعد وفاة طغرلبيك سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م جاء من بعده ابن أخيه الب



أرسلان الذي استطاع أن يصل إلى قلب أرمينيا وآسيا الصغرى فسيطروا على كبادوكيا وقيصرية، وقد حاول الامبراطور البيزنطي ارمانوس أن يصد الخطر السلجوقي سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م لكنه لم ينجح في ذلك، وقد كانت أرمينيا وشرق آسيا الصغرى التي احتلها ألب أرسلان لذا فقد عمد الامبراطور رومانوس الرابع بتهيئة جيرانه وتزويدهم بالذخيرة لأخراج السلاجقة منها.

وهنا تبرز أهمية دراسة معركة ملاذكرت التي وقعت في رمضان ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، بين المسلمين ممثلين في دولة السلاجقة وبين الامبراطورية البيزنطية في قسمها الشرقي، اظهارة المدى أثر هذه المعركة الحاسمة على بيزنطة ودورها في فتح القسطنطينية فيما يعد مستندين إلى وثائق ومصادر أرمينية وأجنبية أتاحت لنا دراستها ومقارنتها بالمصادر والمراجع العربية الإسلامية المتوافرة سلفاً، فقد زدنا المؤرخ اريتاكيس الأرمني وصف أحداثها وصور تكتيكاتها الحربية تصويراً رائعاً، بل أعطانا صورة تنبض بالحياة عن دور البيزنطيين والسلاجقة أثناء خوض غمارها.

ولأن معركة ملاذكرت تعد من المعارك الحاسمة في تاريخ العصور الوسطى بصورة عامة، وتاريخ الامبراطورية بصفة خاصة. وجدنا لزماً علينا تناول ما أورده اريستاكس بالدراسة والتحليل ومقارنة مع المصادر الإسلامية.

ولقد تم تقسيم البحث إلى مطالب:

فقد تصدى المطلب الأول للدراسة علاقة السلاجقة الترك بالبيزنطيين والدولة العباسية وبيان تأثيرها على معركة ملاذكرت.

أما المطلب الثاني فقد تناول دراسة تشكيلات الجيشين البيزنطي والسلجوقي.

في حين احتوى المطلب الثالث دراسة الأساليب والخطط العسكرية المستخدمة لكل من الجيشين البيزنطي والسلجوقي وتأثيرها على معركة ملاذكرت.

وقد حوى المطلب الرابع بين ثناياه وصفاً تحليلياً لمعركة ملاذكرت.

أما المطلب الخامس فقد تصدى للدراسة أثر معركة ملاذكرت على بيزنطة والسلاجقة ودورها في فتح آسيا الصغرى.

أما الخاتمة فقد احتوت على جمع النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث وما أفرزته هذه المعركة على المدى الطويل من دروس يمكن استنباطها من خلال هذه المعركة.



أما بالنسبة لأهم المصادر التي استفدنا منها في إعداد هذا البحث، فنشير إلى كتاب الجاحظ (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م) في كتابه رسائل الجاحظ في مناقب الترك الذي استفدنا منه في معرفة طبائع الترك وطرائق معيشتهم، وكتاب ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم الذي أمدنا بمعلومات وافية في عدد من المطالب، ولا ننسى كتاب سبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) في كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان والذي أفدنا منه في المطلب الثالث والرابع، وكتاب ابن الاثير ٦٣٠هـ / ١٢٣٢ بكتابه الكامل في التاريخ الذي أمدنا بمعلومات وافية عن المعركة لأنه كان شاهداً على حوادث عصره، عارفاً بأحداثها واصفاً للمعركة، فضلاً عن المصادر الفارسية التي امدتنا بمعلومات وافية عن المعركة ووصف عن تشكيلات الجيش والأسلوب الجيش السلجوقي في الهجوم والانسحاب. وقد ألحقنا البحث بخريطة تحدد موقع المعركة، وأرمينيا. وفي الوقت الذي لا ندعي الكمال في إعداد هذا البحث، فالكمال لله وحده، فإن وفقنا فمن الله تعالى القدير، وأن جانبنا الصواب فقررنا أننا من البشر، والذي نرجوه أن نكون قد وفقنا في عرض مادة البحث على النحو المطلوب.

والله ولي التوفيق.

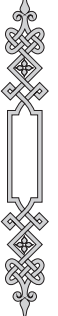


الإهداء

* إلى والديّ إكراماً وإجلالاً
* وإلى روح أخي الطاهرة أسامة ;
* وإلى كل شفة همست وقلب ابتهل بالدعاء لي

أهدي عملي هذا

الباحثة





المطلب الأول

علاقة السلاجقة بالدولة البيزنطية والدولة العباسية وتأثيرها على معركة ملاذكرد

أ - علاقة السلاجقة بالدولة البيزنطية:

إن المتبع لدراسة معركة ملاذكرد بين البيزنطيين والسلاجقة سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م لا بد له من التعرض لدراسة العلاقات التي كانت سائدة بين الطرفين، فلقد تعاونت الدولة البيزنطية مع الأتراك منذ زمن طويل، إذ أن مشروعاً لقيام تآلف تركي بيزنطي كان قائماً منذ القرن السادس الميلادي. فقد خدم الترك في الجيش البيزنطي كمرتزقة، كما التحق أعداد كثيرة منهم في صفوف الجيوش المرابطة على الحدود الشرقية للامبراطورية البيزنطية، إلا أنه لم يكن العنصر التركي أي نتيجة أو أثر على الامبراطورية إلى حين ظهور السلاجقة على حدودها الشرقية في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، فدل الموقف السياسي والعسكري عندئذ. فبعد أن كانت بيزنطية تجد على حدودها في القرن السابق دولة إسلامية ضعيفة، منقسمة على نفسها مذهبياً وسياسياً، فإذا بها تجد سلطنة قوية متماسكة، مكنت المسلمين من استئناف التوسع على حسابها ونشر الدين الإسلامي الحنيف، وكان ذلك في الوقت الذي دخلت فيه الامبراطورية البيزنطية حالة من الركود والضعف بعد زوال الأسرة المقدونية في عام (٤٤٩هـ / ١٠٥٧م)، وما تبع ذلك من صراع بين الطبقتين العسكرية والمدنية^(١).

ومن الجدير بالذكر فقد كان الباعث على التوسع الإسلامي هذه المدة ثلاثة أسباب ديني، اقتصادي، وسياسي.

(١) A. A. Vasilier, S. Aagazin, L. University of wisco as in Histoire of Byzantine empire, Madison ١٩٢٨، ١٩٧٣، P. ١٣٦.

وانظر طقوس، محمد سهيل، تاريخ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ٤٧٠-٧٠٤هـ / ١٠٧٧-١٣٠٤م، دار النفائس، (د. م، د. ت)، ص ٣٥.



أما فيما يتعلق بالباعث الديني، فقد وضع السلاجقة نصب أعينهم هدفاً راحوا يعملون على تحقيقه ألا وهو نشر الإسلام في أوسع رقعة ممكنة وبخاصة بين جيرانهم النصارى، وأعني بهم الأرمن والنصارى، الأمر الذي يكسب حروبهم طابعاً جهادياً. كما يكسبهم عطف المسلمين جميعاً، وأن اقتربهم من حدود الكرج^(١)، والبلاد الأرمينية^(٢)، والبيزنطية، هياً لهم الفرصة لأن يواصلوا حركة الجهاد المقدس الذي سبق ان قاموا به في الشرق، وقد حرص طغرل بك في أن يجعل اتباعه من الأتراك دائماً تحت تصرفه يوجههم في حملات مختلفة ويفاد منهم في الجهاد ضد الكفار^(٣).

ب- دراسة علاقة السلاجقة بالدولة العباسية

بعد أن استطاع ألب أرسلان القضاء على كل الحركات المناوئة له، وبسط سلطانه على أرجاء الدولة السلجوقية، وأستتب له الأمر، وتوطد سلطانه، وذكر اسمه في الخطبة في جميع البلاد التي خضعت لسلطانه، وأقطع البلاد للامراء^(٤).

(١) الكرج: جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبل القبق وبلد السرير، قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس، ولهم ولاية تنسب إليهم وملك ولغة وشوكة وكثرة عدد، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان، دار صادر، (بيروت ١٩٧٩)، ج٤، ص٤٤٦.

(٢) أرمينية: تشتمل أرمينية على أوسط البقاع وأكثرها ارتفاعاً من المنطقة الجبلية الواقعة في غربي آسيا. وهي البلاد الجبلية الشاسعة التي تحدها آسيا الصغرى، وشرقاً هضبة أذربيجان والشاطىء الجنوبي لبحر قزوين، ومن الشمال والشمال الغربي البلاد الواقعة البحر الاسود والبلاد القوقاز. وإذا نظرنا إلى أرمينية من الوجهة الجغرافية، فإن الجبال الوعرة التي تميز بين بحيرة أرجيش شمالاً أو سهول آشور جنوباً تعد كذلك جزءاً من أرمينية وتشكل هذه المنطقة فاصلاً بين الساميين في الجنوب والأرمن الذين يتسبون للجنس الآري في الشمال وأرمينية هي بلاد الانهار التي تنساب في جميع الجهات وأشهرها دجلة والفرات والرس الذي يفصلها عن بلاد القوقاز، وأهم بحيراتها بحيرة أرجيش وتقسم البلاد الأرمينية إلى قسمين: أرمينية الكبرى وتمتد من نهر الفرات غرباً إلى الاقليم المجاور لنهر كر شرقاً، وتتوسط مدينة خلاط أما أرمينية الصغرى تشمل اقليم تفليس، وما حوله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص١٥٩-١٦٠.

(٣) ابن الأثير أبو الحسن عز الدين أبو الحسن علي أبو الكرم، (٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط١، (بيروت، ١٩٧٢م)، ج٨، ص٤٨.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج١، ص١٢-١٣.



بدأ يحمل على التسكين لدولته، وزيادة رقتها^(١)، وكان عليه أن يحصل على تفويض من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ٤٢٢ - ٤٦٧ هـ / ١٠٣٠ - ١٠٥٥ م) بالسلطنة ولتحقيق ذلك، عمل ألب أرسلان كل ما في وسعه، فقد أدرك أن زواج عمه طغرل بك من ابنة الخليفة قد تم دون رضا الخليفة^(٢)، فبادر في سبيل كسب رضا الخليفة إلى ارجاع أبنته إلى بغداد، بعد أن منحها خمسة آلاف دينار، لتستعين بها على العودة^(٣).

ولقد فرح الخليفة العباسي بعودة أبنته، ورحب برسل السلطان السلجوقي الجد، ومنحهم التقليد بالسلطنة، وأمر أن تقام الخطبة للسلطان السلجوقي في مساجد بغداد، وأن يكون لقبه (السلطان المعظم عضد الدولة، وتاج الملة، أبا شجاع ألب أرسلان محمد بن داود)^(٤)، ولم يحدث خلال الفترة التي حكم فيها ألب أرسلان (٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م)، ما يكدر صفو العلاقات بينه وبين الخليفة العباسي بل كان السلطان السلجوقي يؤثر أن تكون علاقته بالخليفة

(١) زكار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، (بيروت، لبنان، ١٩٨٨)، ص ٦٣.

(٢) لقد ذكر ابن الأثير تفاصيل زواج طغرل بك من ابنة الخليفة العباس القائم بأمر الله، ويبدو أن السلطان السلجوقي لا يدري بأنه قد تخطف بعمله هذا كل التقاليد العباسية، إذ لم يسبق لأمر أعجمي أن تقدم لمصاهرة البيت العباسي من قبل، وكانت العلاقات بين السلطان السلجوقي، والخليفة العباسي قد ساءت قبل مشروع الزواج، واستاء الخليفة أكثر من طلب الزواج، ولكن عوامل الضعف والخوف جعلت الخليفة يوافق مضطراً على هذه المصاهرة، ولقد قصد طغرل بك من وراء هذه الزيجة تحقيق أهداف سياسية بحتة، تبعد بها عن أن تكون خالصة لوجه الزواج، ولكن هذه الزيجة لم ينجم عنها شيء، فقد كان طغرل بك عقيماً فضلاً عن تقدمه في السن كما أن وقت الزواج كان عليلاً لم ينعم بعروسه الهاشمية فمات طغرل بك دون أن يترك ولداً يخلفه في السلطنة، وكان ذلك يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م عن عمر يناهز السبعين، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٧ - ١٢.

(٣) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ / ١٠٤٥ م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة الهند، حيدر آباد الدكن، (١٣٥٩ / ١٣٥٨ هـ)، ج ١، ص ٢٣٤ - ٢٣٥، عبد الهادي، محبوبة، مقالة بعنوان «وثائق تاريخية من العهد الأول من حكم الدولة السلجوقية»، معهد المخطوطات العربي، المجلد العاشر، ط ١، (د. م، ١٩٦٤)، ص ١٠٠ - ١٠٣، وقد أقامت دار الخلافة العباسية حفلاً رسمياً لذلك حضره أعيان الدولة، وكبار العلماء، وفيه انفلت الخلع والهدايا مع وفد السلطان إليه.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٨.

طيبة^(١)، وليس أدل على ذلك أن ألب أرسلان كان يستجيب إلى كل ما يرغب الخليفة في تنظيره، ففي سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، أرسل الامبراطور البيزنطي رومانس الرابع رسالة إلى القائم بأمر الله يطلب إليه توسطه في عقدة هدنة بينه وبين السلاجقة^(٢)، وأجاب ألب أرسلان بقبول وساطة الخليفة ودعوته إلى الصلح^(٣)، ولكن الامبراطور نقض الهدنة وهاجم السلاجقة فهزهم ألب أرسلان في معركة ملاذكرت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، فأرسل الخليفة رسالة إلى السلطان ألب أرسلان يهنئه وينعشه بأفضل وأفخم الألقاب^(٤).

وفي سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م، استجاب السلطان إلى طلب الخليفة بعزل شحنة بغداد، آبتكين السليمان، وكان السلطان نظام الملك قد أوفده إلى بغداد، وإلى دار الخلافة، وسأل الخليفة العفو عنه، فلم يجب طلبه واضطر السلطان إلى أن يرسل سعد الدولة كوهرايين بدلاً منه^(٥).

وليس أدل على احترام ألب أرسلان للخليفة القائم بأمر الله إلا الحفاوة البالغة التي لقيها عميد الدولة، ابن جهير من السلطان السلجوقي، ومن وزيره نظام الملك حين أنفذه الخليفة إلى نيسابور ليخطب ابنة السلطان لولي العهد المقتدي بأمر الله (٤٦٧-٤٨٧هـ / ١٠٧٤-١٠٩٤م)، ولما تم الزواج، أمر السلطان أن يبالح في إكرام الوزير السلجوقي، وذلك بمسيرة في مدينة اصفهان وهو في طريق عودته إلى بغداد^(٦)، وإن دل على ذلك شيء فإنما يدل على التقدير الذي يكنه السلطان ألب أرسلان للخليفة القائم بأمر الله رمز السلطة الدينية والشرعية^(٧).

وهكذا حقق ألب أرسلان ما كان يرنو إليه وهو اضافة الصفة الشرعية على دولته واكتساب

(١) الحسيني صدر الدين علي السيد الإمام الشهيد أبو الفوارس ناصر بن علي الحسيني (ت ٦٦٤هـ / ١٢٦٤م)، أخبار الدولة السلجوقية، نشر محمد إقبال، (الأهواز، ١٨٤٧هـ)، ص ٥٣.

(٢) البنداري، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، تحقيق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ٢٠٠٤م)، ص ٤٢-٤٣.

(٣) ابن الجوزي، آل سلجوق، ج ٨، ص ٢٦٠-٢٦٣.

(٤) الحسيني صدر الدين، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٥٣.

(٥) البنداري، آل سلجوق، ج ٨، ص ٢٦٠-٢٦٣.

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٩ / ص ٢٢٩.

(٧) الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، ص ٥٤.



الخليفة العباسي إلى جانبه ليتمكن بعد ذلك من تحقيق أهدافه وإكمال مسيرته بالقضاء على جيش رومانس في معركة ملاذكرت وتكوين سلطنة السلاجقة العظمى ونشر الإسلام في الممالك النصرانية المجاورة كبلاد الأرمن والروم، الأمر الذي أكسب السلاجقة وحروبهم صبغة وطابع الجهاد الديني^(١).

أما فيما يتعلق بالباعث الاقتصادي، فإن تدفق الاتراك من بلاد ما وراء النهر في أفواج جديدة بعد تأسيس الدولة السلجوقية في إيران والعراق جعل الأرض تضيق بهم، فأخذوا يبحثون عن مراع جديدة وغنية، فوجدوا ضالتهم في أراضي الدولة البيزنطية، يؤكد ذلك ما رواه ابن الأثير في سبب غزو ابراهيم ينال أخى السلطان طغرلبيك، للأراضي البيزنطية «أن خلقاً كثيراً من الغزما وراء النهر قدموا عليه، فقال لهم: بلادى تضيق عن مقامكم والقيام بما تحتاجون إليه، والرأى أن تمضوا إلى غزو الروم وتجاهدوا في سبيل الله وتعموا»^(٢).

يتضح مما تقدم أن جذور العلاقة بين الطرفين البيزنطي والسلجوقي قديمة جداً، ويبدو أن الباعث الاقتصادي كان له دوره الفعال في تحفيز جذوة العداوة بين الجانبين لأن كل منهما يرغب في الاستحواذ على ممتلكات أرمينية (البلد الغني) الذي طالما كان لقمة سائغة للطامعين ونشر نفوذه فيه نظراً لكثرة خيراته وضعفه، إلا أننا نجد في المقابل، ان العرب المسلمين عندما حرروا هذا السقع البعيد كان لهم أثر فعال في توطيد الامن والاستقرار لكافة سكان ارمينية، لذا نجد أن أكثر المدن والقلاع فتحت سلماً ونظراً لسرعة انجازها وسعة رقعتها وقلة تكاليفها المادية والمعنوية لذا تعد من الأعمال العسكرية الباهرة^(٣).

ومن الواضح أن غارات السلاجقة ظلت حتى وفاة طغرلبيك في عام (٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م) وكانت تستهدف غالباً السلب والنهب دون محاولة الاستقرا^(٤)، إنما كانت خطوة تمهيدية استطلعت

(١) حسانين، عبد النعيم، سلاجقة إيران والعراق، (القاهرة، ١٩٥٩م)، ص ٥٨-٥٩.

(٢) خطاب، محمود شيت، مقالة (حبيب بن مسلمة الفهري)، مجلة اللغة العربية، (بيروت، ١٣٩٣هـ- ١٩٧٤م)، ج ١، ص ٥٥.

(٣) Grousset, Rene, Histoire des Croissades, Paris, 1934- 1976, P. 429.

(٤) عنان، محمد عبد الله، موقعة ملاذكرد، مجلة الثقافة، العدد (٥٠٠)، (د. م، ١٩٤٨)، ص ٧.



خلالها القوات السلجوقية أوضاع وطبيعة المنطقة (أرمنية).

أما فيما يتعلق بالباعث السياسي، فقد كان لبلاد الارمن أهمية سياسية وعسكرية في علاقة المسلمين ببيزنطة، وكانت الدول الاسلامية على مر العهود لا تفرط بهذه البلاد حتى انتزعتها الاسرة المقدونية من ايديهم في عهد الامبراطور باسيل الاول (٢٥٣-٢٧٣هـ / ٨٦٧-٨٨٦م)^(١)، فارتبطت أرمنية في عهد ملكها أشوط الاول من الأسرة البغراطية بنوع من التحالف والعلاقات الودية مع بيزنطة، وبذلك أصبحت دولة حاجزة ضد المسلمين في المشرق^(٢)، لكن هذه التبعية بقيت مزعجة بسبب انقسام الارمن فيما بينهم. وهكذا تناوب الطرفاء الاسلامي والبيزنطي حكم البلاد إلى أن خضعت نهائياً للبيزنطيين في عهد باسيل الثاني (٣٦٠-٤١٦هـ / ٩٧٦-١٠٢٥م) حتى تنازل حنا سمباد في عام (١٤١٢هـ - ١٠٢١م) للامبراطور البيزنطي عن أملاكه بعد وفاته على أن يظل بحكمها أثناء حياته^(٣)، وذلك نظراً لما تعرضت له بلاده (أرمنية) من الغارات من قبل السلاجقة والابخاز^(٤). وكذلك فعل بقية ملوك أرمنية بعد أن أدركوا عدم جدوى مقاومة السلاجقة^(٥). لذا استسلموا للبيزنطيين وعندئذ أدرك طغرلبيك أهمية السيطرة على أرمنية لكسر الطوق البيزنطي من أمام المسلمين تمهيداً للتوغل داخل الأراضي البيزنطية لمواصلة حركة الجهاد وإشباع رغبة اتباعه. وعلى هذا النحو نستطيع أن ندرك الأسباب التي من أجلها بدأ التوسع بأن نفذ السلاجقة إلى الجهات الشمالية الغربية من إيران وقاموا بغارات ضد الكرج والارمن والبيزنطيين سالكين الطرق التقليدية للغزو^(٦).

(١) العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية (بيروت، ١٩٨٦)، ص ٣٣٨-٣٣٩.

(2) Cahen Claude Cambridge Medieval History، Vol. 17. P. 140

(٣) توفي سمباد في ١٠٤٠م فخلفه في الحكم ابنه كاجيك الثاني الذي تنازل نهائياً عن أملاكه لبيزنطة.

(٤) الابخاز: اسم ناحية من جبل القيق المتصل باب الأبواب، وهي جبال صعبه المسلك وعرة لا مجال للخيل فيها، تجاور بلاد اللان يسكنها امة من النصراري يقال لها الكرج، وفيها تجمعوا ونزلوا إلى نواحي تفليس، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٦٤.

(5) Cahen، Claude، P. 23.

(6) Ibid، P. 23.



إلا إن أرسلان كانت له أسبابه السياسية الخاصة إذ حرص على أن يحمي نفسه من بيزنطة بالسيطرة على أرمينية والاستقرار فيها خوفاً من احتمال التقارب بين البيزنطيين والفاطميين لذا عمد على مهاجمة الفاطميين في بلاد الشام وبداً وضعاً أن الصراع بين السلاجقة والبيزنطيين سوف يزداد عنفاً وبخاصة أن البيزنطيين أدركوا أخيراً مدى الخطر الذي يهدد الامبراطورية من الشرق^(١). ونتيجة لذلك دخلت سياسة السلاجقة تجاه الامبراطورية البيزنطية في دور جديد. وكان الب ارسلان قبل قيامه بغزو البيزنطيين قد وثق علاقاته بكل من السلطتين الغزنوية والخانية عن طريق المصاهرة^(٢)، مما هياً له أن يركز اهتمامه ويتفرغ لغزو البيزنطيين وهو مطمئن. مما تقدم نجد أن التخطيط والتدبير الذي ساد سياسة كل من طغرلبيك ومن بعده الب ارسلان مهدت الطريق لاستقرارهم في آسيا الصغرى ولم تكن معركة ملاذكرت إلا النتيجة المحتومة للصراع الدائر بين الجانبين.

المطلب الثاني

تشكيلات الجيشين البيزنطي - السلجوقي في معركة ملاذكرت

أ- تشكيلات الجيش البيزنطي.

١- جيش الألوية:

وهو جيش دفاعي قبل كل شيء وكان أهم سلاح للدولة يوم أصبحت في موضع الدفاع بصفة مستديمة، وقد ظل لواء الأناضول وهو القائد الأول في الدولة حتى القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري، بل لقد كان في القرن العاشر الميلادي نفسه/ الرابع الهجري ذا مكانة سامية فوق المعتاد في سلك الموظفين، ومن كان يلحق بجند مناطق الثغور، ولعلهم كانوا أحياناً أصحاب الرياسة بها بارونات التخوم مثل بطل الملاحم ديجينيس الذي واصل شن الحروب والحملات على العرب

(١) عنان، محمد عبد الله، موقعه ملاذكرد، ص ٧.

(٢) تزوج أحد أبناء أرسلان ابنه السلطان إبراهيم الغزنوي، كما تزوج ابنه الأكبر ملكشاه ابنه طمغاخ خان ملك الخانيين، حسنين، عبد المنعم محمد، إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، ١٩٨٢م)، ص ٦٠.



ابتغاء السلب والغنائم، ولكنه ربما هو ينضم إلى الجيوش الأمبراطورية في خلال أي حملة منظمة^(١). يتضح من النص السابق أن جيش الألوية كان ذا مكانة مرموقة في الامبراطورية البيزنطية إذ يضم القادة ذو المكانة الرفيعة في الدولة ومن هم بدرجة البارونات وهم أعلى السلك الوظيفي العسكري، فضلاً أنهم يمتلكون صفات وملامح اسطورية تتمثل بالشجاعة والاقدام وتختلط بقصص خرافية يتداولها الناس عن مآثرهم بحملاتهم ضد العرب المسلمين بالسلب والنهب فيا لها من أساطير.

٢- التاجماتا Tagmata:

وهي الفرق الأربع للحرس الأمبراطوري وهي فرقة المدارس (Sacholate) والديابة Ecubitors ووحدة الجند المسماة اريشموس (Arthmus) وهي فريق المراقبة والهيكاناتي (Gicanati)، ويظهر أن الفرقة الأخيرة قد أنشأها نيفيخوردس الأول، أما الفرق الأخرى فمنحدرة من حرس القصر أبان الأمبراطورة لأول عهدها، وكلها فرق خيالة، ويرجح أنها لم تكن عظيمة، حيث لم يكن عدد أفراد فرقة المدارس ليتجاوز ١٥٠٠ رجل، كانت كل منها تحت قيادة دومستيق، أي ضابط قصر (Domestic) باستثناء جند المراقبة التي كانت قائد كتيبة وقد التحق بهم الجندا^(٢).

٣- جند سرايا المشاة:

وعدتهم قرابة ٤٠٠٠ رجل وهم تحت قيادة قائد كتيبة^(٣).

٤- جند كتاب المرافقة:

وهم الحرس الامبراطوري في ذلك الحين وينحدرون من بين الأجانب وهم آخر من خلف فرق

(١) رنسيان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠١٠م)، ص ١٦٤. وينظر:

Bryer, A- A. Byzantine Family, The Garbracles, in The Empire of The Trebzd and The Pontus, London, 1980, p. 53- 54.

(٢) رنسيان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ص ١٦٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٥.



البرابرة المخالفين وكانت هذه الجند تعسكر عادة بتراقيا، وترافق الامبراطور متى خرج للحملة، وما لبث تدريجياً أن تغير قائدها وذلك أنه لم يخرج الامبراطور للحملة بشخصه إذ تولى دومستيق فرق المدارس قيادتها العليا نيابة عنه^(١).

يتضح من النص السابق أن الحرس الامبراطوري كان ينحدرون من البرابرة الأجانب وهي التي كانت ترافق الأمبراطور أينما ذهب، ثم ما لبث أن استطاع هذا الجند يتولى قيادته دومستيق أي (ضابط القصر) قيادة فرق الحرس الأمبراطوري في الحملات وهذا يفسر بالتالي الضعف الذي حل بالجيش الامبراطوري إذ أن الجيش كان يسوده الفرقة فهم من الأجانب التي لا تجمعهم سوى المصالح، فمن الممكن شراءهم بسهولة أو تحويل ولائهم للغير، خصوصاً، إذ كان الغير هم من اصحاب جلدتهم السلاجقة، وهذا ما تم بالفعل، عندما التحقوا مع جيش ألب ارسلان ضد الجيش البيزنطي.

ب- تشكيلات الجيش السلجوقي:

١- الفرسان (الأمراء):

يؤلف الفرسان العنصر الأساسي في الجيش بصفة عامة^(٢)، ويسمى الخيالة^(٣)، وكان فرسان السلاجقة من أمرائهم بشكل خاص، ومن أهم أسلحة الفرسان السيوف والرماح والحراب، وكانوا يلبسون الدروع، ويركبون الخيل السريعة المدربة الفاراهة، التي أجاد فرسان السلاجقة قيادتها وركوبها^(٤)، وكانت لهم خبرة كبيرة بالحرب^(٥)، من فوق الجياد^(٦).

(١) المرجع نفسه، ص ١٦٥.

(٢) خطاب، محمود شيث، العسكرية العربية الإسلامية، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٨٣م)، ص ٤٥.

(٣) أنوري، حسن، اصطلاحات ديوانية دوره غزنوي و سلجوقي، ناشر كتابخانه طهرزي، تهران به جاب رسير، ديه ٢٥٢٥ شاهنشاهي، ص ١٣١.

(٤) الحسيني، محمد بن مجيد بن عبد الله بن نظام الملك، (ت ٧٤٣هـ / ١٣٤٢م)، أخبار الدولة السلجوقية، تحقيق: محمد نور الدين، دار أقرأ، (بيروت، ١٩٨٦م)، ص ١٣١.

(٥) ر. س-سميل، الحروب الصليبية، ترجمة: سامي هاشم، (بيروت، لبنان، ١٩٨٢)، ص ٧٦-٧٨.

(٦) الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، (ت ٢٥٥ / ٨٦٨م)، رسائل الجاحظ في مناقب الترك، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٤م)، ص ٧٠.



وسار السلاجقة على احترام فرسانهم إلى حد كبير، فهم عماد الجيش وبهم فتح السلاطي: وكانت قوتهم واتساع دولتهم مرهون بهم وبمهارتهم القتالية، فلم تعن الجند السلجوقي حق الافصاح عن مطالبهم إلا عن طريق متصديهم (الفرسان)، وإذا تجاوز أحدهم هذا التقليد كان يلقي أشد العقاب^(١)، وكانت لهم القيادة في الجيش فعرفوا بالاسفهلارية^(٢)، أي قواد الجيش^(٣).

٢- المشاة:

وهم الرجالة من الجند، وقد اتخذوا من شتى العناصر التي كونت الجيش السلجوقي المسلم^(٤)، وكانت أعدادهم كبيرة تصل إلى عدة آلاف^(٥).

ومن أسلحتهم السيوف والحراب والسهام، وكانوا يلبسون الدروع، ويضعون فوق رؤوسهم الخوذة^(٦)، ويحملون في أثناء الحرب كنانن النبل^(٧)، كما كانوا يحملون الناجيح وهي الحربة القصيرة

(١) الطوسي، أبو علي الحسن بن إسحاق بن نظام الملك (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م)، سياسة نامه، ترجمة: محمد العزاوي، (القاهرة، ١٩٧٥م)، وترجمة: يوسف حسين بكار، دار الثقافة، الدوحة، (قطر، ١٩٨٣م)، ص ٢٤٥.

(٢) انوري، حسن، اصطلاحات انوري، ص ١٣٢.

(٣) البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين، (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م)، تاريخ البيهقي، ترجمة: يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية، (بيروت، لبنان، ١٩٨٢م)، ص ٥٨٩، امين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، طبعة المكتبة الأهلية، (بغداد، ١٩٦٥م)، ص ٢٠٥، وينظر: الباشا، حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، (القاهرة، ١٩٦٦)، ص ٥٨٩.

(٤) مصطفى، شاكر، دخول الترك الغز إلى الشام، مقالة بمجلة المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام، (الأردن، ١٩٧٤م)، ص ٣٢٠-٣٢٢.

(٥) البنداري، الفتح بن علي محمد البنداري الأصفهاني، (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م)، تاريخ آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص ١٦-٧٦.

(٦) الخوذ: ما يوضع على الرأس، وتصنع من حديد أو غيره، الشامي، احمد عبد الحميد، الحضارة الإسلامية، (الزقازيق، ١٩٩١)، ص ٩-١٠١.

(٧) كنانن النبل: جمع كنانة وهي الجراب الذي يوضع فيه السهام، ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بلن مكرم، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، طبعة بولاق، (القاهرة، ١٣٠٠هـ)، ج ٢، ص ٤٩٤.



أو المهماز^(١)، كما كانوا يحملون الناجيح وهي الحربة القصيرة أو المهماز^(٢)، ولهم وعاء يضعون فيه سهامهم وأقواسهم^(٣)، وكانوا يحملون الرمح وكان الرمح التركي أخف وزناً وحمل^(٤).

٣- الشبابون (الرماة):

يطلق عليهم الرماة لأنهم يرمون بالنشاب^(٥) كما يتسلحون بكناثر النبل، والفؤوس الصغيرة (البلطة)، ويستعان بهم في صد المغيرين، وفي الحصون والأبراج^(٦).

٤- المنجنيقيون:

وهم رماة المنجنيق^(٧)، وكانوا يستخدمون فيه تدمير القلاع، والأسوار، والحصون والدفاع عن المدن، والقلاع ضد هجمات الأعداء^(٨).

٥- الجمارون:

وهم الذين يتولون أعمال التحصين وبناء الأسوار، وقطع الصخور وحفر الخنادق^(٩).

٦- النفاطون:

وهم الذين يرمون بقوارير النفط، وتصنع من الزجاج، وهي تشبه القنابل الآن، وتستعمل لإحراق السفن والأسلحة والأمتعة التي تصنع من الخشب، ويضرب أيضاً الجنود ومجموعات

(١) انوري، حسن، اصطلاحات ديواني، ص ١٤٤.

(٢) الجشاي، خالد جاسم، الجيش والشرطة، مقالة بكتاب حضارة العراق، (بغداد، ١٩٨٤م)، ج ٦، ص ٢٤٨.

(٣) سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٨، الشامي، أحمد الحضارة الإسلامية، ص ٩٩.

(٤) ثابت نعمان، الجندي في الدولة العباسية، (بغداد، ١٩٣١م)، ص ١٥١.

(٥) الشباب، وهي سرية من الفرسان يتقدمون الجيش عادة لاستكشاف والاستطلاع، متز، آدم، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: عبد الهادي، ابو ريذة، دار الكتاب العربي، ط ٤، (بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م)، ج ٢، ص ١٢٥.

(٦) المرجع نفسه، ص ١٤٥.

(٧) انوري، حسن، اصطلاحات ديواني، ص ١٤٤.

(٨) ثابت، نعمان، الجندي، ص ١٥٤.

(٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٢، ص ٢٨٣.



العدو، وكانوا يلبسون ملابس خاصة غير قابلة للاحتراق^(١).

٧- الزرافون:

وهم طائفة من (الجند) اقتصت بقذف النار المشتعلة، أو النفط الملتهب، بواسطة أنابيب نحاسية، أو اسطوانية يحملها الجند أو السفن، عرفت عند العباسيين باسم الزرافات أو النفاطات^(٢).

٨- العرادات:

العرادة آلة حربية تشبه المنجنيق، ولكنها أصغر منه، وتخصص هذه الطائفة من الجند لأستخدام نوع معين من الأسلحة الثقيلة عرفت باسم العرادة^(٣).

٩- الفراشون:

هم الذين يهتمون بفرش ونصب الخيام للجند^(٤).

١٠- الفقهاء والوعاظ:

هم الذين يلازمون الجيش، لشد أزره، وتحميسه على القتال^(٥)، ومعهم القراء والقصاص لإثارة حماس الجند^(٦).

١١- الأطباء والمرضون:

وهم الذين يتولون مداواة الجرحى، ودفن الموتى.

(١) الشامي، أحمد، الحضارة الإسلامية، ص ١٠٠.

(٢) حسن، إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (القاهرة، ١٩٨٢م)، ج ٤، ص ٣٦٠.

(٣) زكي، عبد الرحمن، السلاح في الإسلام، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٥٤-٥٥.

(٤) الراوندي، محمد بن علي سليمان (ت ٥٩٩هـ / ١٢١٤م)، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية: إبراهيم امين الشرايبي وآخرون، (القاهرة ١٩٦٠)، ص ١٩٨.

(٥) الجنابي، خالد، الجيش والشرطة، ص ٢٥٦.

(٦) كانوا يحملون معهم ما يعرف بمستشفيات الميدان وهي أماكن تبعد عن مسرح القتال بمسافة معقولة لمعالجة الجرحى على محفات تحملها الأبل، الشامي، احمد، الحضارة الإسلامية، ص ١٠٠.



المطلب الثالث

الأساليب والخطط العسكرية المستخدمة من قبل البيزنطيين والسلاجقة

أ- الأساليب والخطط العسكرية التي استخدمها البيزنطيون في معركة ملاذكرت. وضع رومانوس خطة تقضي بالاستيلاء على حصون أرمينية وشحنها بالجند قبل قدوم السلاجقة من جهة الجنوب، ومن ثم مهاجمة الجيش السلجوقي في محاولة لتطويقه، فتابع زحفه حتى وصل إلى قيصرية، وهنا بدأ يفكر جدياً بالعودة إلى قسطنطينية تحت أي عذر^(١) أما عن خطته الأخرى التي اتبعها رومانوس، فهو أنه قام بتقسيم جيشه إلى قسمين: ارسل القسم الأول إلى حصن خلاط الواقع على شاطئ بحيرة وان لمهاجمته، في حين سار بالقسم الثاني باتجاه ملاذكرت وأستولى عليها^(٢). وتلقى وهو فيها أنباء عن اقتراب ألب ارسلان، فانحرف الى الجنوب الغربي ليلتحق بالقسم الأول من الجيش قبل أن ينقض عليه الأتراك^(٣).

ومن أساليبه الحربية أيضاً أن الجديش البيزنطي إذا قام بهجوم مضاد، خرجت فرقة الحرس الأمبراطوري الأربعة (التاجمانا) من القسطنطينية بقيادة الامبراطور أو دومستيق (ضابط القصر) فيلحق بها عند نقاط معينة من الطريق العسكري الذي يخرق آسيا وفصائل من جند الألوية المختلفة^(٤).

(١) لا تمدنا المصادر التي بين أيدينا عن سبب محدد لرجوعه الى القسطنطينية حتى ان بسلسوس (أحد قادته) الذي رافق الامبراطور في حملته لم يذكر سبباً معيناً حمل الامبراطور على التفكير بالراجع، وهو كان الأقوى على الساحة العسكرية. بدليل أنه اقطع بطارقه، الذين كانوا يرافقونه، مصر والشام وخراسان والري والعراق مستثياً بغداد، وأوصى بعدم التعرض للخليفة لأنه كان صديقه، واستناداً لما أورده أحد المؤرخين المسلمين أن رومانوس أراد أن يشتي في العراق ويصيف في العجم، وعزم على تخريب بلاد المسلمين. شمس الدين بن يوسف بن قراوغلي المعروف بالسبط (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: دائرة المعارف الإسلامية، (الهند، د. ت)، ص ٢٨٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٠٩.

(3) Oman· Charles Wiliam Chacluick· A. History of the Art of war in the Miclille Ages. London· 1924· P. 219.

(4) Ramssy· Historical Geography of Asis Momor· London· P. 197.



وكانت هذه تتكون بوجه خاص من المشاة، وإن كان كل لواء يرسل بعض خيالته، علماً أن الامبراطور كان يرافقه ٨٢٠٠ فارساً على الأقل، مع أن فرق الحرس الامبراطوري الأربعة التاجمانا لم تكن تزيد كثيراً على ٦٠٠٠ رجل^(١).

والواقع أن «الحذر كان رائداً للخطط الحربية البيزنطية، وكانت هجمات المسلمين السلاجقة من الكثرة بحيث لم تكن أي سياسة عدوانية جريئة تعتمد شيئاً عملياً بأي حال تقريباً»^(٢).

يتضح من النص السابق أن السلاجقة المسلمين كانوا يمثلون قوة لا يستهان بها في العصور الوسطى على بيزنطة بحيث كانت تحاول صدها بشتى الوسائل وتحت هذا المعنى يشير ستيفن رنسيان أنه (نظراً) «لأن الجيش البيزنطي كثير النفقة لذا استلزم الأمر أن يستخدم إلى أقصى حد ودون اسراف في إضاعة الأرواح أو العتاد، ثم ينبغي أن يحذر القواد الكيائن والهجمات المباغته وأن لا يتركوا أجنحتهم بغير حراسة يقظة، لذا يجب أن تكون لهم طلائع كشافة يعتمد عليها وأن يستخدموا الخطط الحربية الاستراتيجية والحيل ما أمكنهم ذلك»^(٣).

يتضح مما تقدم أن الجيش البيزنطي كان كثير التكاليف من حيث العدة والعدد في الوقت ذاته لذا استوجب الحال أن يعتمد القادة على وضع خطط حربية تتمكن من الحفاظ والوقوف بالمرصد لجميع الهجمات المباغته من قبل المسلمين السلاجقة.

ومن الخطط الحربية التي كانت تستخدمها بيزنطة، هو حصار المدن إذ كان لفن حرب الحصار قواعده الخاصة التي تختلف باختلاف طبيعة المدينة المحصورة والمنطقة المحيطة بها^(٤)، وكانت هذه القواعد توضع بعناية ولكنها لم تكن قواعد جامدة بل توضع بعناية تامة، لذا كان ابتكار الوسائل الجديدة موقع ترحاب دائماً، وينبغي لكل من ضرب عليه الحصار أن يدرس ويستكشف قوات العدو ومزاجه، فمثلاً كيكومينوس يستصوب الانقضااض من داخل الأسوار لمباغته العدو

(1) Ibid، P. I 97.

(٢) رنسيان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ص ١٦٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٦٦، للمزيد ينظر: رامزي في كتابه: Historical Geography، P. ١٩٧.

(٤) رنسيان، ستيفن، الحضارة البيزنطية، ص ١٦٦.



واستخدم قدر معين من ضروب الدهاء^(١).

ب- الأساليب والخطط العسكرية التي يستخدمها السلاجقة في معركة ملاذكرت

لقد كان السلاجقة فرساناً بطبيعتهم، وكانوا على اختلاف أعمارهم يقضون معظم وقتهم على ظهر الخيل في بيئة بدوية لا تعرف غير الحرب والقتال، وهي البيئة التي نشأوا فيها وهاجروا إليها^(٢). ومن الشعوب الآسيوية التي هاجرت من آسيا الوسطى، فقد تميز السلاجقة الترك بصفات وشيم في الحرب تختلف عن غيرهم من البلدان، وتحت هذا المعنى فقد أشار الهرثمي قائلاً: «الحرب لبست بوحدة ولا العمل فيها واحداً من ذلك أنه قد يختلف المحاربون في بلدانهم، وأصنافهم ومذاهبهم في الحرب، كالترك... والاعراب وغيرهم من سائر الأمم»^(٣).

وكانت تشكيلات قوات السلاجقة على هيئة صفوف متراسة يحملون سيوفهم وأقواسهم ويبدو متأهبين للقتال في أية كفة^(٤)، فضلاً عن صيحاتهم المتعالية لمحاولة منع عدوهم من الاقتراب^(٥) وارهابه بصوت طبولهم القوية، التي لم تكن أصواتها على وتيرة واحدة، مما يدخل في روع السامع لها أنها ذات طابع همجي^(٦)، وتحت هذا المعنى أشار الهرثمي قائلاً: «المكبرون وأصحاب الطبول يكبرون ويضربون في الوقت الذي يؤمرون به ويحتاج إلى ذلك فيه: أصحاب الأعلام والبنود يلزمون مراكزهم بأعلامهم وينودهم مستوية إلى وقت الحاجة إلى حركتهم»^(٧).

ومن الجدير بالذكر فقد كانت ميزة من مميزات الحرب لديهم هي تكتيكات الرماة والفرسان

(١) المرجع نفسه، ص ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ص ١٤٥ - ١٤٧.

(٣) صاحب المأمون، مختصر كتاب الحروب، تحقيق: عبد الرؤوف عون، مراجعة محمد مصطفى زيادة، مطبعة المؤسسة المصرية، (القاهرة، د. ت)، ص ٦٧.

(٤) سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٦، أحمد، رمضان، الحروب الصليبية، (العلاقات بين الشرق والغرب، القاهرة، ١٩٩٤ م)، ص ٨٧.

(٥) الصوري، وليم، الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٤ م)، ج ٣، ص ٢٥٣.

(٦) أحمد رمضان، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٧٨.

(٧) مختصر سياسة الحروب، ص ٤٠.



والتي سببت أكبر صعوبة أمام اي عدو يدخل معه في معركة (١)، وبما أن جيوش العصور الوسطى كانت تعتمد على الفرسان، لكن الفرسان المسلمين السلاجقة تميزوا عن غيرهم بالسرعة والمرونة في القتال، ويرجع السبب في خفة حركاتهم هذه إلى سرعة خيولهم، ورشاقتها^(٢)، وخفة أسلحتهم، إذ كان سلاحهم الرئيسي القوس، كما كانوا يحملون السيف والترس والرمح والهاوية^(٣).

وهناك أدلة على ان الرمح والقوس السلجوقيين كانا أخف منها لدى البيزنطيين، ولم يكن ترس السلاجقة شبيهاً بترس البيزنطيين الذي كان على شكل الطائرة الورقية الطويلة بل كان ترساً مستديراً صغيراً، وخفيف الوزن^(٤)، ولقد استعاد المسلمون السلاجقة فوائد رئيسية من قدرتهم على التحرك بسرعة:

أولاً: مكنتهم خفة الحركة من البقاء على بُعد معين من عددهم، واختيار لحظة التي يكونون فيها مستعدين للاشتباك معه^(٥)، وكان رماة السهام من الفرسان المسلمين السلاجقة مهرة جداً في رميهم، فلم يكن أسلوبهم هو الرمي المنفرد، وإنما الرمي الجماعي في صور زخات على العدو، وجعلوا زخاتهم تنحصر في هدف واحد هو الفرس^(٦)، ولذلك كانت أكبر خسائر أعدائهم كانت في الخيل^(٧).

فإذا ما جرت محاولة لمهاجمة الرماة السلاجقة كانوا مستعدين للتراجع ويظن الناظر أنهم يفضلون السلامة بالفرار، وكانت جموعهم تتفرق، لكنهم في الحقيقة يعودون إلى القتال، وهكذا

(١) سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٦.

(٢) مجهول أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٩٨م)، ص ٤١-٤٢.

(٣) سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٧٨، احمد رمضان، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٨٩.

(٥) سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٨.

(٦) ولقد استخدم هذا الأسلوب من الرمي الجماعي للسهام على الخيل في معركة ملاذكرت وقد زدنا نقفور بتفاصيل دقيقة التي لم ترد في المصادر المعاصرة الأخرى من بيزنطة أو أرمنية أو إسلامية انظر

- Nicophore Bryennions، Les quatre des Histoires، Trad، Henri Gregoire Dans Byzantion، T، XXXLL، (1953)، P. 52..

(٧) احمد رمضان، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٨٧-٩٤.



يكون تراجعهم تراجعاً منظماً (تكتيكياً)، مما كان سبباً في نصرهم دائماً.

ولم تكن هذه المناورة السليجية تجري على نمط واحد بل كانت تتخذ صوراً مختلفة، ففي بعض الأحيان استمر تراجعهم عدة أيام يقصد إرهاق العدو، واستدراجه بعيداً عن مراكز تمويّنه وقواعده، كما كان تظاهرهم بالهزيمة أيضاً محاولة لخداع العدو، وجره إلى الكمين المنصوب له للقضاء عليه في مناطق قتل مناسبة^(١) ولقد اتبع المسلمون السلاجقة هذا الأسلوب مع البيزنطيين في معركة ملاذكرت سنة (٤٦٣هـ - ١٠٧١م)^(٢).

ثانياً: استغل السلاجقة قدرتهم على التحرك كأسلوب مهاجمة جناح العدو، ومؤخرته. فكانوا يطوقون عدوهم في أكثر من موضع مثل النحل، ويهاجمونه من كل جهة، ويحيطون به من جميع الجهات^(٣)، كالحزام أو مثل الكور حول محورها^(٤) أو كما يحاصرون مدينة. وأن لم يستطيعوا تطويق العدو وسعوا أجنحتهم إلى أقصى حد ممكن حتى يطوقوا عدوهم من الجانبين^(٥)، وهذا النوع من الأسلوب (التكتيك) يحتاج إلى تفوق عددي في بعض الأحيان، ولكن المسلمين السلاجقة استخدموه تحت كل الظروف في حالة تفوقهم العددي على خصمهم أو في حالة افتقارهم للقوة العددية^(٦)، ولقد سبب هذا الأسلوب الكثير من الارتباك الذي كان عليهم أن ينظروا إلى ما وراء أكتافهم^(٧). ومن الجدير بالذكر فقد استخدم المسلمون السلاجقة هذا الأسلوب في المعركة التي جرت بينهم وبين (رومانوس البيزنطي في ملاذكرت في ٤٦٣هـ / ١٠٧١م) وسنأتي إلى شرح أبعادها عند ذكر تفاصيل المعركة لاحقاً.

(١) سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٨.

(٢) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٢٢٣.

(٣) سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٨.

(٤) الصوري، وليم، الحروب الصليبية، ج ٣، ص ٣٢٣.

(٥) سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٩.

(٦) احمد رمضان، الحروب الصليبية، ص ٨٩.

(٧) ابن العديم، كمال الدين عمر بن هبة الله، (ت ٦٦٠هـ / ١٣٦٢م)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق: سهيل

زكار، دار الكتاب العربي، ط ١، (دمشق، ١٩٩٧م)، ج ١، ص ٢٦٦.



ثالثاً: لقد استخدم المسلمون السلاجقة أسلوب مهاجمة العدو واراغامه على القتال في أثناء الزحف نحو المكان المقترح للمعركة^(١)، وكان السلاجقة المسلمين في أسلوبهم هذا يقومون بمهاجمة مؤخرة الجيش المحارب لهم وكان هذا الأسلوب القتالي مزعجاً ومربكاً لأعدائهم تعودوا على خوض المعارك بعد صف قواتهم وفرسانهم في هيئة القتال (اي مقدمة وميمنة وميسرة وقلب ومؤخرة)^(٢)، مما ترك أثر رهيباً في نفسية جنود رومانوس البيزنطي في معركة ملاذكرت^(٣).

المطلب الرابع

البيزنطيون والسلاجقة في معركة ملاذكرت

معركة ملاذكرت^(٤): تعد معركة ملاذكرت أحد المعارك الحاسمة في تاريخ في العصور الوسطى

(١) انوري، حسن، اصطلاحات ديواني دوره غرنوي وسلجوقي، ص ٣٨.

(٢) احمد رمضان، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٨٩ - ٩٠.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٠٩.

(٤) في البغدادى منازل بعد الالف زاي، ثم جيم مكسورة، ثم راء ساكنة، ودال، بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم من ارمنيية، وأهلها ارمن، ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٦هـ / ١٣٣٨م)، مرصد الاطلاع على أسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار أحياء الكتب العربية، (القاهرة، د. ت)، ج ٣، ص ٣١٤، وقد اختلفت متزيكرت في المصادر الإسلامية، فابن سبط بن الجوزي يسميها منازل كرد، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، رقم ٩٢٧٦، ج ٩، ص ٣٦٦ - ٣٦٧، وفي ابن العديم وياقوت (منازل كرد)، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج ٢، ص ٢٦، معجم البلدان، دار الكتب العربي، بيروت، د. م، ج ٥، ص ٢٠٢، ابن حوقل اطلق عليه (يناز جرد) أبو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م)، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٩٢)، ص ٢٩٥؛ وفي أبي الفراء (ملاز جرد)، عماد الدين إسماعيل، (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م)، تقويم البلدان، تصحيح وطبع: رينو البارون ماك، كوكتين ديبلان، دار الطباعة السلطانية، (باريس، ١٨٤٠م)، ص ٣٩٤ - ٣٩٥؛ وفي المقدسي وابن الاثير، ملاذكرد، شمس الدين ابو عبد الله، (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٠٦م)، ص ٣٦٧، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ٦٧؛ وفي ابن خلدون (ملاذكرد)، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، (بيروت، ١٩٥٨م)، ج ٦، ص ٩٤٨؛ وفي ابن الفقيه (ميلاد برد)، أبو بكر احمد بن محمد (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م)، مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل (ليدن، ١٣٠٢هـ)، ص ٢٢٥ وعنها يقول ياقوت الحموي «وأهله يقولون منازل كرد بالكاف: بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم، يعد في أرمنيية وأهله أرمن وروم. . . « أما صاحب تقويم



عامة وتاريخ الامبراطورية البيزنطية بصفة خاصة^(١).

في سنة (٤٦٣هـ / ١٠٧١م) والتي انتصر فيها السلاجقة^(٢)، وجدنا لزاما علينا تناول ما أورده اريستاكيس عنها بالدراسة والتحليل، إذ يستهل حديثه بالقول أن الأمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينيس (٤٦٠هـ - ٤٦٣هـ / ١٠٦٨ - ١٠٧١م)، وجد أن السلطان السلجوقي كان قد استولى على أجزاء كبيرة من الامبراطورية البيزنطية، وطرد منها حكامها من قبل بيزنطية وعاد ثانية إلى بلاده محملاً بالغنائم والأسرى، وبما أن رومانوس كان قد اشتهر بشجاعته، لذا قرر خوض

البلدان فيقول: ((ملازجريد من ارمينية وهي بلد صغير، وبنائها بالحجر الاسود، وبها عين وليس لها اشجار، ثم ينقل عن ابن حوقل قوله: «وهي بلد تقارب خلط ونشوى في القدر خصبة كثيرة الخير، وهي قرية من ارزن بيها يومان أو ثلاثة، تقع ارزن جنوبيها وشرقيها بدليس وبينهما يوم ونصف، هذا عن المصادر الإسلامية أما مؤرخوا الروم فقد ارجعوا على تسميتها منزبكرت.

(١) وأصل السلاجقة توغلهم واجتياهم المستمر لأراضي الامبراطورية البيزنطية، فاقطعوا من أوصالها السهول والهضاب والمناطق المكشوفة، بل مدناً عامة كأرزان سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م، وقوسيا (٤٤٨هـ / ١٠٥٤م) وملطيه سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٨م، وسيواش سنة ٤٥١هـ / ١٠٥٩م وقيصرية سنة ٤٥٩هـ / ١٠٦٧م وقونية وعموريه سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م، سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م، اعتبر المؤرخون أن سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م، والتي انتصر فيها المسلمين السلاجقة على الروم في معركة ملاذكرد، نقطة تحول في التاريخ البيزنطي عن هذا الرأي ولمزيد من التفاصيل. انظر:

- Runciman, Byzantine Civilization, London, 1948, pp. 51- 52.

- Aristake;s d Lastivent, Resit ds Malheurs de la Nations Arme>nienne trad, Ca-nard, Banard, Bruxelles, 1973, P. 87.

وانظر اسكندر، فايز نجيب، ارمينية بين البيزنطيين والاتراك السلاجقة (٣٩٢هـ - ٤٦٣هـ / ١٠٠٠ - ١٠٧١م)، في مصنف اريستاكيس اللستيفري، المطبعة العصرية، (الاسكندرية، ١٩٨٣م)، ص ١١٢.

(٢) السلاجقة: مجموعة من القبائل التركية التي عرفت باسم الغز كانت تسكن الهضاب القريبة من بحيرة خوازم بحيرة (ارال)، فتنزل بالغرب من السواحل الشرقية لبحر قزوين وفي الهضاب المحيطة بنهري سيحون وجيحون، وقد أطلق على هذه القبائل التركية اسم (السلاجقة) نسبة إلى رجل منها تزعمها هو ((سلجوق بن دقاق)) ولم يكن لهذه القبائل اسم خاص تعريف بهم قبل تولي سلجوق هذا رئاستها، ويبدو أنه جمع شملها ووحدها تحت زعامته، ثم قادها ونزل بها أرض الإسلام فاسلمت معه فنسبت إليه وخضعت لحكم أبناء وأحفاده من بعده، وقد قاد أبناء سلجوق الهجرة التركية إلى غرب العالم الإسلامي، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ١٦٧، محمود، حسن احمد واحمد ابراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الكتاب العربي، (القاهرة، ١٩٩٥)، ص ٤١٩.



غمار الحرب ضد السلاجقة، حتى لا يظهر بمظهر الخائن وحتى لا يترك وراءه ذكرى سيئة، فبذل قصارى جهده لحشد كتائب لا حصر لها، وبعد أن رأى هذه الجموع الغفيرة تحت امرته^(١)، «ركبه التكبر وأخذته الغطراسة واعتقد أن ملوك الأرض أجمعين لا يمكنهم قهر جيوشه»^(٢) ثم طرأت على ذهنه فكرة شاذة ومنافية للمنطق إلا وهي أن يرسل الجزء الأكبر من جيشه على رأس قادته إلى طريق يختلف عن طريقه، أما هو فعلى رأس جيش هام سيتخذ طريق الشرق^(٣).

ومن الجدير بالذكر فإن نقفور برينوس قائد الجناح الأيسر لجيش الروم والذي ترك لنا حفيده أعظم وصف لمعركة ملاذكرت.

ذكر إن رومانوس الرابع ارسل بنصف قواته بقيادة جوزيف ترافا نيوتسن للاستيلاء على خلاط واستعادتها من قبضة السلاجقة بينما توجهت قوات أخرى للحصول على المؤن اللازمة للجيش من مواضع مختلفة، وقد لام بسلولوس عدو رومانوس، حتى أنه وصفه بأنه جاهل لفنون الحرب والقتال^(٤). وهكذا، سار الامبراطور البيزنطي على رأس جيشه إلى أن وصل إلى مدينة ثيودوسيوبوليس^(٥)،

(١) ذكر ابن العديم، أن جيش الروم بلغ عدده حوالي ثلاثمائة ألف رجل، وكان خليط من الروم والروس والخزر والغز والقفجاق والابخار والفرنح والارمن، زبدة الحلب من تاريخ حلب، ج٢، ص ٢٤-٢٥، أما ابن الأثير فيقدر عدد ماتئي الف، الكامل في التاريخ، ج٨، ص ١٠٩، ومع ذلك فلاشك أن هذه الحملة فاقت في عدد جنودها الحملات التي سبق أن قادها رومانوس في آسيا الصغرى.

(2) Aristakes Recit des Malheurs dela Nation Armenienne، P. 128.

يتبين من النص السابق أن الغرور قد استطاع أن يتغلب على الامبراطور البيزنطي عندما وجد جيشه يمتاز بأعداده الكثيرة، لذا فإن ملوك الأرض جميعهم لا يستطيعون قهره.

(3) Aristakes، P. 130.

(4) Pesll: Michael، The chronographia، Trans by E. R. A Sexter Baltimore، England، 1966 II، P. 162.

(٥) ثيودوسيوبوليس: هكذا وردت في المصادر البيزنطية وكارين في المصادر الارمنية، وقاليقلا في المصادر الإسلامية ويقول عنها البغدادي: ((قاليقلا بأرمينية العظمى، من نواحي خلاط، ثم من نواحي مناجرد من نواحي ارمينية الرابعة، مراصد الاطلاع، ج٣، ص ١٠٤٩، وكانت منذ ذلك الحين المركز العسكري والاداري لأرمينية البيزنطية، والحصن البيزنطي المنيع للأقاليم القوقازية، انظر: Aristakes، P. ١١.

وقد زودنا ابن الأثير بتفسير طريف عن سبب تسميتها قاليقلا إذ قال: ((إننا سميت قاليقلا لأن امرأة بطريق ارميناقس



وهناك تفقد تشكيلات فرسانه «ولم ينتظر انضمام بقية جيشه إليه، بل ولم يسمح كتابه بالتوقف والراحة، فإذا حدث ذلك، لكان جيشه قد ازداد شجاعة وخاض أحسن المعارك الحربية، إذ أن كثرته العددية، كان بإمكانها أن تبث الرعب والفرع في قلوب الأعداء السلاجقة»^(١). لكن الامبراطور البيزنطي «طمع في الانفراد بالنصر دون القسم الثاني من جيشه لذا تقدم عن حدود ملاذکرد حيث كان السلطان السلجوقي قد أقام معسكره في مواجهة الأتراك السلاجقة، وأصدر أوامره بإحاطته بالتحصينات المنيعة، بل وحدد يوم القتال»^(٢).

إن القراءة المتأنية للنصوص التي أوردها اريستاكيس (وهو من مؤرخي الارمن في سبعينات القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري)، نظراً لما تهبأ لصاحبه من رؤية الاحداث الجارية على مسرح بلاده وتحليله لها واستنباط أسبابها وتناجها.

يمكن القول أن الامبراطور البيزنطي اخطأ خطأ عسكرياً فادحاً عندما قسم جيشه إلى قسمين لأنه بذلك أضعف مقدرة الجيش البيزنطي القتالية؛ وتحت هذا المعنى فقد أشار الهرثمي: «استعد لعدوك بأكثر من قدره، فأنتك أن الفيته صغيراً وقد أعدت له كبيراً لم يضرك، ذلك بل نفعك لا تتولن أمر عدوك على الهويني بالعمل على تدقيق المرققين»^(٣)، وتصغير المصغرين، فربما كان في ذلك بعض ما يرجع بالمكره عليك»^(٤) نستنتج من النص السابق أنه كان على الامبراطور أن لا يستهين بقدرته عدوه ويحتاط له بكافة الوسائل الممكنة من الكثرة العددية التي تدخل الرعب على جيش عدوه.

أما الخطأ الفادح الثاني الذي وقع فيه الامبراطور البيزنطي، أنه لم يسمح لجيشه بأخذ قسطاً من الراحة وأن يستعد لملاقاة عدوه، وتحت هذا المعنى أشار الهرثمي قائلاً: «اطلب الأناة ما استقامت لك، وأقبل العافية ما وهبت لك، ولا تعمل إلى اللقاء ما وجدت لك إلى الحيلة سبيلاً، لا تسأمن

كان اسمها قالي بنت هذه المدينة قسمها قالي قله، وتعني احسان قالي، فعرها العرب فقالت قاليقلا، الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٨.

(1) Aristraker, P. 126.

وانظر اسكندر، فايز نجيب، ارمينية بين البيزنطيين والاتراك السلاجقة، ص ١١٢.

(2) Aristakes, p. 126.

(٣) المرققين: اي لا تستمع لمن يهونون لك أمر عدوك، ويهونون لك على رقة حاله وضعفه.

(٤) مختصر سياسة الحروب، ص ١٩.



مطاوله^(١) عدوك، فإن في الأناة انتظار امكان فرصه، وظفراً من عدو بعورة^(٢). يتضح من النص السابق الصبر والهدوء الذي يجب أن يتصف به القادة في الحروب هي أهم أسباب الانتصار في الحرب.

أما الخطأ الثالث الذي ارتكبه الامبراطور رومانوس البيزنطي فهو تحديده يوم القتال، وتحت هذا المعنى أشار الهرثمي في حفظ السر وصيانه: «قالوا ما استطعت أن تحترس في كتمان شرك في حربك فأفعل، فإن في ذلك بإذن الله امضاء تدبيرك، وقطع مكيدة من يكيدك»^(٣).

ويتضح من النص السابق أنه كان الأجدى للامبراطور رومانوس أن لا يطلع أعداءه من المسلمين السلاجقة عن موعد لقاءهم وحربه معهم لأنه بذلك سيفوت عليهم الفرصة بالاستعداد للقاءه. أما نتيجة المعركة، فبعد أن حدد الامبراطور ارمينانوس يوم المعركة، فأدى ذلك أن دب القلق في معسكر السلطان السلجوقي^(٤) الذي بدوره قرر خوض غمار القتال في الحال، خوفاً من وصول بقية

(١) المطاوله: المصابرة وعدم العجلة، الفيروز آبادي، مجد الدين بن محمد بن يعقوب بن عمر الشيرازي، (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣م)، القاموس المحيط، (د. م، ١٣٥٢هـ)، ج ٣، مادة مطاوله.

(٢) مختصر سياسة الحروب، ص ٢٠.

(٣) مختصر سياسة الحروب، ص ٨.

(٤) يقن السلطان السلجوقي الب ارسلان أنه من الصعب على جيشه أن يقاتل جيشاً لا حصر له كجيش الروم، ففضل الصلح، فارسل قبل المعركة وفداً للتفاوض حقناً للدماء، إلا أن الامبراطور البيزنطي اغتر بجيشه الضخم، فطرد الوفد قائلاً: «إن الصلح لن يتم إلا في الري عاصمة السلاجقة، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١٠٩-١١٠: عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية (صفحة مشرقة من تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٦٣م)، ج ١، ص ٨٨، سليمان، احمد عبد الكريم، المسلمون والبيزنطيون، (القاهرة، ١٩٨٢م)، ج ١، ص ٣٢٥. فانزعج السلطان لذلك، فقال له أمامه وفتيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري «إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره واطهاره على سائر الاديان، وارجوا أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فالفهم يوم الجمعة بعد الزوال في الساعة التي يكون فيها الخطباء على المنابر، فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر، والدعاء مقرون بالاجابة». ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر ابو الفداء الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)، البداية والنهاية، (القاهرة، ١٩٤٨م)، ج ١، ص ١٠٠، العسلي، بسام، الايام الحاسمة في الحروب الصليبية (بيروت، ١٩٧٨م)، ص ٢٠-٢٩. وقد زدونا ابن الاثير بوصف لاحوال السلطان السلجوقي الب ارسلان قبيل معركة ملاذكرت إذ يقول: «لما كانت تلك الساعة من يوم الجمعة، صلى الب ارسلان وبكى وبكى الناس لبكائه، ودعا ودعوا معه،



كتائب الجيش البيزنطي وانضمامها إلى جيش الامبراطور^(١) فاصدر السلطان السلجوقي، أوامره إلى جيشه بالاستعداد للهجوم. وإزاء ذلك اضطر الجيش البيزنطي وعلى غير إرادته بالاستعداد لقتال السلاجقة^(٢)،

وقال لهم: (من اراد الانصراف فلينصرف فما ههنا سلطان يأمر وينهي). وألقى القوس والنشاب، وأخذ السيف والدبوس، وعقد ذنب فرسه بيده، وفعل عسكر مثله، ولبس البياض وتحنط، وقال أن قتلت فهذا كفي. وزحف إلى الروم وزحفوا إليه، فلما قاربهم ارجل وعفر وجهه التراب، وبكى واكثر الدعاء، ثم ركب وحمل وحملت العساكر معه، فحمل المسلمون في مطهم، وحجز الغبار بينهم، فقتل المسلمون فيهم كيف شاءوا وأنزل الله نصره عليهم، فانهم الروم وقتل منهم ما لا يحصى حتى تملأت الأرض. بحث القتل وأسروا ملك الروم، الكامل في التاريخ، ج ٨، ص ١١٠، العظيبي، محمد بن علي، تاريخ حلب، تحقيق: إبراهيم زعرور، (دمشق، ١٩٨٤م)، ص ٣٥٩. (١) Aristakea، P. 126.

وتحت هذا المعنى أشار الهرثمي فيما يخص صلاح أمر الجند بصلاح أمر القادة إذ أشار قائلاً: ((فيبغي لصاحب الحرب ان يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره، والاستعانة به، والتوكل عليه، والفرج إليه وسألته التأيد والنصر، والسلامة والظفر. مختصر سياسة الحروب، ص ١٠، ويتضح من النص السابق أن الجند يكتب لهم النصر في الميادين ماداموا يعتقدون أنهم جند الله، يجارون لنصرة الحق على الباطل لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ سورة النساء، الآية (٧٦).

(٢) زدونا نقفور برينيوس بتفاصيل دقيقة على درجة كبيرة من الأهمية عن تقسيم الجيش البيزنطي أثناء معركة ملاذكرد، إذ قال أن جده ترأس الجناح الايسر، أما الجناح الأيمن فقد اسندت قيادته إلى الياثيس الذي اشتهر بشجاعته وبسالته، وأن ظل فيها بعد مخلصاً للامبراطور البيزنطي، وإنه سمت عيناه بأوامر من قسطنطين دوقاس انظر: Attaliate، PP. ١٧٠ - ١٧٢.

وترأس الامبراطور البيزنطي قلب الجيش. أما مؤخرة الجيش، فقد تم اسنادها إلى اندرونيفرس دوقاس الذي شهد له نقفور بخبرته وسعة علمه بفتون الحرب والقتال لكنه كما قال لم يكن مخلصاً للامبراطور البيزنطي، انظر: Nicephorus Bryennion، Historia Fch، P. 491.

أما متي الرهاوي، فقد ذكر أن الامبراطور البيزنطي وضع قبائل الغز في الجناح الأيمن أما قبائل البشناك ففي الجناح الأيمن، أما بقية الجيش فقد وضعه في المقدمة والمؤخرة، ويواصل متي الزهاوي روايته قائلاً: أن الغز البشناك تخليا عن مواقعها وانضوا إلى الأتراك السلاجقة انظر: Matthieu Edesse، chronique، Dularier، Paris، 1858. ch vii P. 172- 179.

وبذلك حرم الروم من رماة السهام المهرة من راكبين الخيول، فتعرض قلب الجيش بقيادة رومانوس للانحجار أمامه وابل سهام الاتراك السلاجقة.



واندلعت الحرب الضارية بين الطرفين^(١).

ولقد أعطى سهيل زكار وصفاً وتحليلاً مقنعاً لخطة الب ارسلان في معركة ملاذكرت تفيد أن رومانوس تلقى تقارير كاذبة نصت له رحيل السلطان السلجوقي إلى بغداد هذا «شبه الهارب» قد تم تبعا للطريقة السلجوقية في خداع العدو والتغريب به، فالسلاجقة بما أنهم يعدون من البر ولذا كانت لديهم خططهم الخاصة في الزحف كما كانت لهم مبادئهم المتميزة في فن السوقية العسكرية، وتنطلق هذه المبادئ من الاعتماد على طبيعة العدو وخفته ومرونته في الحركة واستحالة خضوعه لانظمة ضبط وربط محددة، فيها يعطي القائد أمراً عاماً يحدد فيه لقواته البدوية نقطة و ليلة التواجد، ويندفع البدو زمراً وأفراداً في اتجاهات مختلفة، وهنا يظن العدو أنهم تفرقوا إلى غير عودة، لكنه لا يدري أن تفرقهم يفيد قائدهم بتحريره من قضايا التموين ثم يدمر أراضي العدو ويضلل قيادته ويجبرها في كثير من الاحيان على توزيع قواتها، ثم عندما تصطدم أولى طلائع قوات البدو بجيوش عدوها، يقوم هذا العدو في النهار على تحطيم خطه لسحق بضعة الالاف من البدو.

لكن هذا العدو يدهش صباح اليوم التالي عندما يجد قوات البدو قد تضاعفت في الليل إلى أضعاف مضاعفه، لذا تنهار معنويات قواته، ويتم عامل المفاجئة، وهكذا يحقق النصر، وهذا ما طبقه الب ارسلان عندما القت قواته لأول مرة قوات الامبراطور البيزنطي رومانوس، ونظراً لأن قوات السلاجقة كانت من الفرسان الرماة، وقوات الروم كانت من الفرسان الثقال مع المشاة، فقد قامت خطه السلاجقة على مبدأ فصل المشاة عن الفرسان، فالفرسان الثقال يفقدون الكثير من قيمتهم بدون حراسة من المشاة، وأيضاً لا قيمة كبيرة للمشاة بدون الفرسان الثقال، فكان شغل السلاجقة الشاغل هو امطار خيول الفرسان يؤيل من سهامهم ثم القضاء على الفرسان الثقال والمشاة كل على انفراد، فكان النصر حليفهم^(٢).

ورغم ذلك لم يستطع أحد منها احراز النصر على الآخر^(٣)، وبعد قليل من بداية المعركة، انضمت

(١) زكار سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ص ١٤٧-١٤٩.

(٢) زكار سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ص ١٤٧-١٤٩.

(٣) أمدنا تقفور برينيوس حفيد الجناح الايسر في معركة ملاذكرد بتفاصيل دقيقة وعلى درجة كبيرة من الأهمية، إذ لم ترد معلوماته الثمينة في غيره من المصادر الأخرى المعاصرة من بيزنطية أو أرمنية أو إسلامية، يذكر تقفور أن السلطان



إلى صفوف الأتراك السلاجقة كتيبة بيزنطية هامة فخانت بذلك الامبراطور البيزنطي، وعمت الفوضى والارتباك صفوف الجيش وبذلك دب الذعر والخوف والشلل في حركته وتحركاته^(١). في حين أن الأتراك السلاجقة ازدادوا شجاعة فكانوا ينقضون على جيوش الروم بشجاعة وضراوة لا نظير لهم^(٢)، يمكن أن نستخلص من النصوص السابقة بانضمام الكتيبة البيزنطية إلى جيش المسلمين السلاجقة ذلك لأن معظم جيش الامبراطور البيزنطي يتألف من المرتزقة واليونانيين والارمن الذين كان هواهم مع السلاجقة لانتمائهم إلى العنصر التركي أي أنهم حاربوا مع أبناء جلدتهم السلاجقة بل أن بعض القادة البيزنطيين تخلوا عن امبراطورهم في تلك اللحظة الحرجة فقد قرر روسل بايليل ومن معه من الفرنج الغربيين عدم خوض المعركة، كما انسحب اندرونيفوس دو كاس من المعركة عندما أدرك أن القضية خاسرة^(٣)، تاركا الامبراطور يواجه مصيره، دون أن يحفى عداؤه، وإشاع بعض القادة أثناء احتدام القتال، خبر الهزيمة، ففر الجنود تاركين الامبراطور في قبضة اعدائه^(٤).

السلجوقي المسلم الب ارسلان أو كل قيادة جيشه إلى (طارنجس) الذي حظي بثقته الكاملة، فقسم القائد السلجوقي جيشه إلى وحدات صغيرة، ورتب في المقدمة وحدات لجمع معلومات عن جيش العدو والتجسس عليه. كذلك أحاط معسكر الروم بأكمله بوحدات صغيرة على هيئة كائن. وأصدر أوامره بأمطار خيالية الروم بوابل من السهام، والتي جاءت على ذكرها فتقدم جيش الروم لمساندة خياله المهزومة فتظاهر السلاجقة بالتقهقر والانسحاب، فطاردهم جيش الروم، فوق فريسة كائن السلاجقة الذين بدورهم قاموا بتعقب مؤخرته، أمام هذه الهزائم المتلاحقة، قرر الامبراطور البيزنطي الدخول في معركة فاصلة ضد المسلمين السلاجقة، فتقدم بصيحة المشاة املاً بالانقراض على اعدائه دفعة واحدة لكنهم تفرقوا وعادوا فجأة لينقضوا على الجناح الايمن في جيش الروم، كذلك الحقوا الهزيمة بمؤخرته، وبذلك أحاطوا الامبراطور البيزنطي إحاطة الدائرة بمعصم اليد، بعد أن نجحوا في عزل جناحه الأيسر وتم اسر الامبراطور البيزنطي رومانوس. انظر ينقفور.

Nicephore Bryenni, I. ch. Xvll, pp. 492- 493.

وانظر احمد رمضان العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٨٧- ٩٤، سميل، الحروب الصليبية، ص ٧٨.

- (1) Aristakes, P. 126.
- (2) Ibid, P. 126.
- (3) Grousset, Histoire de Croisades, p. 931.
- (4) Ibid, P. 431

وانظر طقوش، محمد سهيل، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، ص ٤٩.

ولاشك بان الصراع الداخلي بين البيزنطيين، ثم بينهم وبين العناصر الغربية في الامبراطورية لاسيما النورمان، انعكس سلبياً على نتيجة المعركة فكانت الهزيمة.

المطلب الخامس نتائج معركة ملاذكرت

أولاً: أثرها على كل من البيزنطيين والسلاجقة

١- كان من نتيجة المعركة أن وقع الامبراطور رومانوس في الأسر فما كان من الب ارسلان أن عامله معاملة طيبة وهو في الأسر، قبل أن يطلق سراحه مقابل فديه باهضة وعلى ان يؤدي جزية سنوية ويوافق على عقده معاهدة تنظم العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين، وفعلاً عقدت هذه الاتفاقية وجاء فيها:

أ- إطلاق سراح الامبراطور رومانوس لقاء فديه ^(١).

ب- تدفع الحكومة البيزنطية للحكومة السلجوقية جزية سنوية ^(٢).

ت- اطلاق سراح كل الاسرى المسلمين في بلاد الروم ^(٣).

ث- يمد الامبراطور البيزنطي السلطان السلجوقي بالعساكر اللازمة عند الطلب ^(٤).

ارسل الب ارسلان بعد عقد الاتفاقية حاجبين ومائة غلام لمرافقة رومانوس، وشيعة فرسخا ^(٥).

٢- أثرت معركة ملاذكرت تأثيراً بالغاً على أوضاع الجيش البيزنطي، عن ما أصاب قوته الضاربة من دمار افقده القدرة على الدفاع عن حدود آسيا الصغرى، وبذلك لم تتمكن الامبراطورية

(١) حددتها المصادر العربية بألف دينار وخمسمائة الف دينار سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، ج٩، ص٢٨٣، وعشرة الاف الف دينار، ابن العربي، غريغوريوس المظني (ت ٩٥٨هـ / ١٢٨٦م)، تاريخ الزمان، دار المشرق (بيروت، ١٩٨٦م)، ص ١١١.

(٢) حددتها المصادر العربية بثلاثمائة وستين ألف دينار، سبط ابن الجوزي، المصدر نفسه، ص ٢٨٣.

(٣) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١١٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٨، ص ١١٠.

(٥) ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، ص ٢٨٤ - ٢٨٥.



من مقاومة زحف الأتراك السلاجقة في تلك المنطقة، مما هباً لهؤلاء الفرصة كي ينسولوا إلى جوفها ويستقروا في أراضيها^(١).

٣- تعد معركة ملاذكرت، أشد ما وقع في التاريخ البيزنطي من كوارث، بل انها أكبر كارثة حلت بالامبراطورية البيزنطية حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وجاءت دليلاً على نهاية الدولة البيزنطية في حماية النصرانية من زحف الاسلام، وفي حراسة الباب الشرقي لآوربا من عزو الاسيويين^(٢)، وتراءى للصليبيين فيها بعد أن البيزنطيين فقدوا على أرض المعركة ما اتخذوه من لقب حماة العالم النصراني وبررت هذه المعركة ما جرى من تدخل الغرب الاوربي، لأن بيزنطة لم يعد بوسعها حماية العالم النصراني من جهة الشرق، وأصبحت عاجزة عن أن تلتقي بجيش في المعركة لأعوام عديدة^(٣).

٤- كانت معركة ملاذكرت نقطة تحول مهمة في تاريخ غربي آسيا. بخاصة، وفي تاريخ الإسلامي بعامه، لأنها يسرت القضاء على سيطرة البيزنطيين على أكثر أجزاء منطقة آسيا الصغرى، مما ساعد على القضاء على الدولة البيزنطية بعد ذلك على أيدي الأتراك العثمانيين^(٤) (الذي هو خارج نطاق بحثنا).
٥- لم يكن السلاجقة ينتصرون في معركة ملاذكرت حتى عملوا على إزالة المعالم البيزنطية من الطرق الرئيسة في أرمنية فضلاً عن الإدارة المدنية في المدن بعد أن تخلى معظم السكان من البيزنطيين، واستسلموا للحكام الجدد خوفاً من المجاعة، إلا أن السلاجقة تركوا نتائج المدن تحكم نفسها بنفسها، ولم يتدخلوا في شؤونها الداخلية، إلا أن صور الحياة فيها قد تغيرت، عندما اخذت تصبغ بالصبغة الاسلامية، إذ إن انحسار النفوذ البيزنطي شجع السكان على الدخول في الإسلام^(٥).

إننا لا نتفق مع المؤلف فاسيلي بان السكان ارمنية وآسيا الصغرى قد دخلوا في الإسلام خوفاً من المجاعة، لأن المسلمين اعتادوا أن لا يجبروا أحداً للدخول في الإسلام وفقاً لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ

(1) Vasilev, A. A: History of Byzantine empire, P. 431.

(٢) عاشور سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٨٨.

(٣) رنسيان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ١١٠.

(٤) حسنين، عبد النعيم محمد، سلاجقة ايران والعراق، في العصر السلجوقي، ص ٥٧.

(5) Vasilev, P. 412.

فِي الدِّينِ فَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴿١﴾ لأن أصل العلاقات في الإسلام هو السلم والمسالمة مع من لم يعادي المسلمين. فضلاً عن إن الإسلام سمح للاديان الأخرى أن تقوم بشعائرها دون أي تدخل بل انه الجزية التي يدفعها الذميين للمسلمين إنما هي لعدم اشراكهم في الجيش وتولي المسلمين الدفاع عنهم، من خلال ما تقدم نرى ان مهادنة المسلمين لغيرهم من وجهة نظر الفقهاء جائز بسببين أولهما اختلاف ميزان القوى لغير صالح المسلمين بأن يكون جانبهم هو الأضعف عسكرية أو سياسية^(٢)، وثانيهما البعد الجغرافي بين المسلمين وغيرهم لوجود حاجز طبيعي أو بشري بين الطرفين، لا يمكن اجتيازه والوصول إلى هؤلاء ومقاتلتهم^(٣).

٦- وما لاشك فيه فإن السلاجقة أكثر العناصر العسكرية الأجنبية إفادة من الأوضاع المضطربة التي سادت المجتمع البيزنطي والوضع السياسي بعد معركة ملاذكرت، فقد حاولت الاطراف المتنازعة في بيزنطة أن تستعين بالقوات التركية ضد بعضها البعض مما اتاح للسلاجقة التوغل في صميم الحياة البيزنطية.

٧- أقدمت السلطات البيزنطية في القسطنطينية على عزل الامبراطور رومانوس الرابع، وأجلست مكانه ميخائيل السابع بن قسطنطينين العاشر دوقاس ٤٦٣ - ٤٧١هـ / ١٠٧١ - ١٠٧٨م، وحاول رومانوس الرابع في غمرة هذا الصراع أن يستعين بالقوات التركية، غير أن الهزيمة لحقت به وتقرر القاء القبض عليه وسمل عينيه.

٨- عمد معظم الاباطرة البيزنطيين بعد رومانوس الرابع نهجه في الاستعانة بالأتراك كلما واجهتهم محنة فعندما رفع روسل باسيل قائد قوات الفرنج المرتزقة، عصا العصيان على الدولة البيزنطية، استعان ميخائيل السابع ٤٦٤ - ٤٧١ - ١٠٧١ - ١٠٧٨^(٤) بالقوات التركية (السلاجقة)

(١) سورة البقرة، الآية (٢٥٦).

(٢) فوزي، موفق سالم، العلاقات العباسية البيزنطية ١٣٢ - ٢٤٧هـ / ٧٥٠ - ٨٦١م، دراسة سياسية وحضارية، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، (بغداد ١٩٩٢)، ص ٢٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٤) رستم، اسد، الروم في سياستهم وحضارتهم، ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط ١، (بيروت، ١٩٥٦م)، ج ٢، ص ١١١.



لقمع حركته، كما استعان الأخوين منصور وسليمان، من أقارب السلطان الب ارسلان للقضاء على ثورة تفقور بوناياتس، على أن الأخوين لم يلبثا أن تخليا عن الامبراطور ودخلا في خدمة بوتانياس فانزلها في مدينة نيقية^(١)

يتضح من النص السابق ان السلاجقة كانوا يستفادون من الفرص المتاحة أمامهم لغرض تثبيت اقدمهم في القسطنطينية لتحقيق اهدافهم ببسط سلطانهم على آسيا الصغرى ونشر الإسلام فيها وتحت هذا المعنى أشار اسد رستم «وتصدعت جهة الروم واختل نظامهم الدفاعي في هذا القطاع، ثم اندلعت نيران حرب أهلية مكنت السلاجقة من الدخول إلى آسيا الصغرى والاستقرار فيها»^(٢).
٩- مما تقدم فإن استقرار القوات التركية هياً للسلاجقة الاستقرار والاقامة في غرب آسيا الوسطى وعلى الحدود الشرقية القديمة للامبراطورية البيزنطية حيث الارمن علاقات حسنة معهم نظراً لما يكونونه من الكراهية للبيزنطيين، فضلاً عن ذلك فقد أقدم بعض حاميات الحدود علاقات ودية مع السلاجقة، فتعرض بذلك نظام الدفاع البيزنطي للتفكك

ثانياً: أثر معركة ملاذكرت على بيزنطة وفتح آسيا الصغرى^(٣)

تُعد معركة ملاذكرت وفتح آسيا الصغرى، من المواقع الفاصلة في التاريخ الإسلامي بأسره، فقد كانت ذات أهمية كبيرة، ونقطة تحول هامة في التاريخ الإسلامي بصفة عامة، وتاريخ السلاجقة المسلمين بصفة خاصة، وفي تاريخ المشرق^(٤)، حيث أنها فتحت الطريق أمام السلاجقة لفتح آسيا الصغرى، وكانت فاتحة الصراع بين الشرق والغرب، في شكل حروب مستمرة باسم الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي منذ سنة ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م.

لقد يسرت معركة ملاذكرت الطريق للقضاء على النفوذ الروماني في أكثر أجزاء آسيا الصغرى وبقية أجزاء الشرقية من بيزنطة التي لم تعد تستطيع الصمود في وجه التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى، مما

(١) نيقية: مدينة من أعمال القسطنطينية من البر الشرقي، وهي المدينة التي اجتمع فيها اباء الملة النصرانية وكانوا ثلاثمائة وثمانية عشر أباً، وهو اول المجامع لهذه الملة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٣٣٣.

(٢) الروم في سياستهم وحضارتهم، ج ٢، ص ١١٢.

(٣) اسكندر، فايز نجيب، أرمينية بين البيزنطيين والأترك السلاجقة، ص ١١٤ - ١١٥.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ٩، ص ٤٨٠.



أتاح تكوين دولة سلجوقية فيما بعد، عرفت بأسم سلاجقة الروم ٤٧٠-٦٩٦هـ / ١٠٧٧-١٢٩٦م، والتي أسسها خلفاء قتلмыш بن إسرائيل بن سلجوق (والتي هي خارج نطاق بحثنا).

ومن الجدير بالذكر فقد غيرت هذه الموقعة الخريطة السياسية لآسيا الصغرى وحولتها إلى الحضارة الإسلامية الخالصة، وأخذ سكانها يدخلون في الإسلام ويتعلمون مبادئه، ويلزمونه بأحكامه في سلوكهم ومظاهر حياتهم، وتحولت لغتهم إلى اللغة الفارسية لغة الجنود الفاتحين، واللغة التركية لغة السلاطين الحاكمين، واللغة العربية لغة الإسلام دين رب العالمين^(١).

أما تأثير هذه المعركة (ملاذكرت) على بيزنطة، هو تقلص ممتلكات الامبراطورية البيزنطية في جنوب إيطاليا على يد النورمان^(٢)، وبعدها نشبت حرب أهلية في القسطنطينية بين الامبراطور المهزوم من الروم واليونان، والفرنجة، والغز، والروس، والكرج والبلغار وغيرهم^(٣).

ولقد كان هم الامبراطور واضحاً وهو أن تأخذ حربه من آسيا الصغرى صيغة الحروب الصليبية، وأن تكون نتيجتها القضاء على السلاجقة، والعالم الإسلامي معاً^(٤).

إلا أن الذي حدث هو ادحار الجيش البيزنطي إذ أن ما أصاب قوته الضاربة من دمار أفقده القدرة على الدفاع عن حدود آسيا الصغرى وبذلك لم تتمكن الامبراطورية من مقاومة زحف الأتراك السلاجقة في تلك المنطقة، مما هبها هؤولاء الفرصة كل يستقروا في أراضيها.

وبذلك نصر الله المسلمين في هذه الموقعة لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾^(٥)، وقوله أيضاً: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾^(٦).

(١) أمين، حسين، تاريخ العراق في العصر السلجوقي، المطبعة المكية الأهلية، (بغداد، ١٩٦٥م) .،

(٢) حسانين، محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٩٠ وما بعدها.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٠-٢١، عاشور، سعيد، الحركة الصليبية، ج ١، ص ٨٢-٨٨.

(٤) إقبال عباس، تاريخ إيران بعد الاسلام، تعريب: محمود علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (١٩٩٠م)، ص ٢٤٦.

(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

(٦) سورة الحج، الآية: ٤٠.



الخاتمة

لقد أسهمت هذه الدراسة بتسليط الضوء على الأسباب التي أدت إلى قيام معركة ملاذكرت وبيان دورها في فتح القسطنطينية بعد ذلك وبيان أثرها على الامبراطورية البيزنطية، ويمكن أن نجمل ما توصلنا إليه بما يلي:

١- أسفرت الحملات العسكرية المتعاقبة التي قادها السلاجقة ضد الدولة البيزنطية عن نجاحهم في اختراق الدفاعات البيزنطية والسيطرة بالتدرج على بلاد الأناضول ثم الاستقرار فيها.
٢- كان دافع الجهاد ونشر الاسلام من اهم العوامل التي دفعت السلاجقة في شن الغارات على اراضي الدولة البيزنطية والتوغل في اراضيها، واعتبروا بلاد الروم دار جهاد يحق لهم السيطرة عليها والحصول على غنائم منها.

٣- كان بإمكان الامبراطور البيزنطي أن ينتصر ببساطة ويسر على جيش المسلمين السلاجقة، إلا أنه أخطأ خطأ فادحاً عندما قسم جيشه إلى قسمين فضلاً عن أن جيشه كان معظمه من المرتزقة من الفرنج والنورمان والروس والبنجك والكرج والكومان والترك والذين انضموا إلى أبناء جلدتهم السلاجقة في المعركة الفاصلة بين الطرفين والتي أدت اضعاف قوته. كما لعبت الخيانة من قبل قسم من قاداته دورها في سحق جيشه وخسارته في المعركة. ويمكن القول أن الامبراطور كان واثقاً من نفسه أكثر مما ينبغي، إذ كان من الأجدر به أن يقبل التفاوض مع السلطان ألب ارسلان حين عرض عليه الهدنة رغم انتصاره في المعركة، إلا أن الامبراطور رفض العرض وأشاح بوجهه بكبرياء ولم يحاول أن يستمع إلى مقترحات السلطان، بل أنه طلب من ألب ارسلان بأن عليه الانسحاب من المنطقة بدون شروط لينتشر فيها الجيش البيزنطي. لذلك فقد مني بالهزيمة في المعركة الحاسمة التي دارت بين الجيشين في ٢٥ ذي القعدة (٤٦٣هـ / ٢٤ آب ١٠٧١م).

٤- استطاع ألب ارسلان أن يشحذ طاقات الجند ويعلن لهم أن الاسلام في خطر وأن عليهم الاستماتة دفاعاً عنه وأن السبيل الوحيد لفعل ذلك هو القضاء على الجيش البيزنطي، فحرض جنوده على الاستماتة في الدفاع عن دين الله حفاظاً على دولة المسلمين، وبذلك يظهر جلياً أن الروح المعنوية



- للجنود والتضحية من أجل اعلاء دين الله وكلمة الحق هي كفيلة بأن يتحقق الانتصار في المعارك.
- ٥- وهكذا رفع الإسلام من قدر الترك السلاجقة فأدخلهم في نطاق التاريخ العالمي ثم مهدوا لأنفسهم فيه مكاناً علياً، حين حملوا من الإسلام الراية التي يلتفون حولها، ثم مضوا بها قدماً يذكرونها في معالم الطريق الذين ساروا فيه حتى قدر لهم أن يزلوا آخر أكبر دولة غربية كانت تنازل العالم الإسلامي وهي الدولة البيزنطية وأن يبلغوا بملك الإسلام، حتى وسط أوروبا.
- ويُفضّل إضافة الاستنتاجات التالية، الأمر متروك لك أن شئت أخذت بها وهي:
- ٦- العامل الديني كان حاسماً وواضحاً من قبل الطرفين في الصراع، إذ نجد أن التحالف المسيحي لم يُدخل ديانات أخرى معه. بينما نجد أن السلطان السلجوقي ألي أرسلان قد اتخذ من إجراءات وقرارات تُدلل على ذلك بدءاً من اختيار ساعة النزال هي ساعة الجمعة، والاهتمام والتأكيد على الدعاء.
- ٧- أثبت التاريخ أن الدول المسيحية لم تفي بعهودها نهائياً للمسلمين رغم الهدنة التي وقّعها الأمبراطور الأسير المعتدي لمدة خمسين عاماً بخلاف المسلمين.
- ٨- أهمية الاخلاص لله تعالى، والاستعداد للموت في سبيله، واللجوء إليه في تحقيق الانتصارات.
- ٩- أثبت التاريخ كذلك مدى الرأفة والرحمة والأدب والذوق الرفيع الذي تعامل به عظماء الأمة الإسلامية مع أعدائهم وخاصة عند وقوعهم في الأسر، كما لاحظنا في تعامل السلطان السلجوقي مع الامبراطور الأسير.





قائمة المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

أولاً: قائمة المصادر.

- ١- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن عبد الواحد الشيباني الجزري، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م).
١. الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، ط ١، (بيروت، ١٩٧٢).
- ٢- البغدادي، ابن عبد الحق صفى الدين عبد المؤمن، (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م).
٢. مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتب العربية، (القاهرة، د. ت).
- ٣- البنداري، الفتح بن علي محمد البنداري الأصفهاني، (ت ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م).
٣. تاريخ آل سلجوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (لبنان، ١٩٨٠م).
- ٤- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر الجاحظ، (ت ٢٥٥هـ / ٨٦٨م).
- ٤- رسائل الجاحظ في مناقب الترك، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، ١٩٦٤م).
- ٥- الحسيني، صدر الدين ابو الحسن علي السيد الامام الشهيد ابو الفوارس ناصر بن علي الحسيني، (ت ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م).
- ٥- أخبار الدولة السلجوقية، نشر: محمد اقبال، (لاهور، ١٩٢٣م).
- ٦- ابن حوقل، ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م).
- ٦- صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٩٢م).
- ٧- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الخضرمي، (ت ٨٢٨هـ / ١٢٠٥م).
- ٧- المقدمة، العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار احياء التراث، (بيروت، ١٩٥٨م).
- ٨- البيهقي، ابو الفضل محمد بن حسين، (ت ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م).
- ٨- تاريخ البيهقي، ترجمه إلى العربية: يحيى الخشاب وصادق نشأت، (القاهرة، ١٩٥٦م).



- ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م).
- ٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، طبعة الهند، حيدر آباد، (الذكن، ١٣٥٨هـ / ١٣٥٩م).
- ابن الجوزي، شمس الدين بن يوسف بن قراوغي المعروف بالسبط، (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م).
- ١٠- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، تحقيق: دائرة المعارف الإسلامية، (الهند، د. ت).
- ابن الجوزي، ابو الفرج غريغوريوس بن هارون الملقب (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م).
- ١١- تاريخ مختصر الدول، دار المشرق، (بيروت، ١٩٨٦م).
- الراوندي، محمد بن علي سليمان الراوندي، (ت ٥٩٩هـ / ١٢١٢م).
- ١٢- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، نقله إلى العربية: إبراهيم امين الشراي وآخرون، (القاهرة ١٩٦٠).
- ابن العديم، كمال الدين عمر بن هبة الله، (ت ٦٦٠هـ / ١٣٦٢م).
- ١٣- زبدة الحلب في تاريخ الحلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط ١، (بيروت، ١٩٩٧م).
- العظيمي، محمد بن علي التوخي الحلبي، (ت ٦٥٥هـ / ١١٦١م).
- ١٤- تاريخ العظيمي، تحقيق: إبراهيم زعور، (دمشق، ١٩٨٤م).
- الطوسي، ابو علي الحسن بن إسحاق بن نظام الملك، (ت ٤٨٥هـ / ١٠٩٢م).
- ١٥- سياسة تامة، ترجمة: محمود العزاوي، (القاهرة، ١٩٧٥).
- أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م).
- ١٦- تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه وطبعه، رينود والبارون ماك كوكين دبلان، دار الطباعة السلطانية، (باريس ١٨٤٠م).
- ابن الفقيه الهمداني، ابو بكر احمد بن محمد الهمداني، (ت ٢٩٠هـ / ٩٠٣م).
- ١٧- مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، (ليدن ١٣٠٢هـ).
- الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق.
- ١٨- تاريخ ميفارقين، تحقيق: عبد اللطيف، بدري عوض، (القاهرة، ١٩٥٩م).
- ابن كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م).



- ١٩- البداية والنهاية، (القاهرة ١٩٤٨م).
- مسكوية، ابو علي احمد بن محمد، (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م).
- ٢٠- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، نشر: هـ. ف. آمدروز، مطبعة لندن الصناعية، (د. م، ١٩١٤-١٩١٥م).
- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد، (ت ٣٧٥هـ / ٩٨٥م)،
- ٢١- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، (ليدن، ١٩٠٦م).
- مجهول.
- ٢٢- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٦٨م).
- الهرثمي، صاحب المأمون.
- ٢٣- مختصر سياسة الحروب، تحقيق: عبد الرؤوف عون، مراجعة: محمد مصطفى زيادة، مؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، د. ت).
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م).
- ٢٤- معجم البلدان، مطبعة دار صادر، (بيروت، ١٩٧٩م).

ثانياً: قائمة المراجع.

- ابو النصر، محمد عبد العظيم يوسف.
- ٢٥- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د. م، ٢٠٠٣م).
- احمد رمضان أحمد.
- ٢٦- حضارة الدولة العباسية، طبعة عين شمس، (القاهرة، ١٩٨٢م).
- ٢٧- الحروب الصليبية، العلاقات بين الشرق والغرب، (القاهرة، ١٩٩٤م).
- اسكندر، فايز نجيب.
- ٢٨- أرمنية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة، (٣٩٢-٤٦٣هـ / ١٠٠٠-١٠٧١م)، في مصنف

- اريس تاكيس اللستيفرتي، المطبعة العصرية، (الأسكندرية، ١٩٨٣م).
- اقبال، عباس.
- ٢٩- تاريخ إيران بعد الإسلام، تعريب: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، (القاهرة، ١٩٩٠م).
- الباشا، حسن.
- ٣٠- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، دار النهضة العربية، (د. م، ١٩٦٦م).
- أمين، حسين.
- ٣١- تاريخ العراق بين العصر السلجوقي، المكتبة الأهلية، (بغداد، ١٩٦٥م).
- أنوري، حسن.
- ٣٢- اصطلاحات ديوانية دوره غزنوية و سلجوقي، ناشر كتابخانه طهرزي، تهران به جاب رسيد، ديهاه (٢٥٢٥ شاهنشاهي).
- ثابت نعمان.
- ٣٣- الجندي في الدولة العباسية، (بغداد، ١٩٣١م).
- الجميلي، رشيد عبد الله.
- ٣٤- تاريخ الدولة العربية الإسلامية، العصور العباسية المتأخرة، وزارة التعليم العالي، الجامعة المستنصرية، ط ١، (بغداد، ١٩٨٩م).
- حسانين، عبد النعيم.
- ٣٥- سلاجقة إيران والعراق في العصر السلجوقي، (القاهرة، ١٩٥٩م).
- ٣٦- إيران والعراق في العصر السلجوقي، دار الكتاب المصري واللبناني، (بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- حسانين، محمد ربيع.
- ٣٧- دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، (القاهرة، ١٩٨٧م).



- حسن، إبراهيم حسن.
- ٣٨- تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، النهضة المصرية، ط١، (القاهرة، ١٩٨٢م).
- خطاب، محمود شيت.
- ٣٩- العسكرية العربية الإسلامية، دار الشروق، (القاهرة، ١٩٨٣).
- رستم، اسد.
- ٤٠- الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، ط١، (بيروت، ١٩٥٥م).
- نسيان، ستيفن.
- ٤١- تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار الثقافة، ط٢، (بيروت، ١٩٨١م).
- زكار، سهيل.
- ٤٢- مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، بيروت، (لبنان، ١٩٧٢م).
- زكي، عبد الرحمن.
- ٤٣- السلاح في السلام، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٥١).
- الزبياري، محمد صالح.
- ٤٤- سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، دار دجلة، ط٢، (الأردن، ٢٠٠٩م).
- السرحاني، راغب.
- ٤٥- قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي، مؤسسة اقرأ، ط٢، (القاهرة، ٢٠٠٨م).
- سليمان، احمد عبد الكريم.
- ٤٦- المسلمون والبيزنطيون، (القاهرة، ١٩٨٢م).
- سميل، ر. س.
- ٤٧- الحروب الصليبية، ترجمة: سامي هاشم، بلا. ط، (بيروت، ١٩٧٢م).
- الشامي، أحمد عبد الحميد.



- ٤٨- الحضارة الإسلامية، (الزقازيق، ١٩٩١م).
- الصوري، وليم.
- ٤٩- الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٤٤م).
- طرخان، إبراهيم.
- ٥٠- النظم الاقطاعية في الشرق الأوسط، (القاهرة، ١٩٦٨م).
- طقوش، محمد سهيل.
- ٥١- تاريخ السلاجقة في خراسان وإيران والعراق (٤٢٩-٥٩٠هـ / ١٠٣٨-١٩١٤م)، دار
النفايس، (بيروت، ٢٠١٠م).
- عاشور، سعيد عبد الفتاح.
- ٥٢- الحركة الصليبية (صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى)، مكتبة الانجلو
المصرية، (القاهرة، ١٩٦٣م).
- العدوي، إبراهيم أحمد.
- ٥٣- الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٥١م).
- العريني، السيد الباز.
- ٥٤- الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، (بيروت، ١٩٩١م).
- العسلي، بسام.
- ٥٥- الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية، (بيروت، ١٩٧٨م).
- فوزي، موفق سالم.
- ٥٦- العلاقات العباسية البيزنطية، (١٣٢-٢٤٧هـ / ٧٠٠-٨٦١م)، دراسة سياسية وحضارية،
دار الشؤون الثقافية العامة، (بغداد، ١٩٩٢م).
- متنر، آدم.
- ٥٧- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة، عبد الهادي ابو ريرة، دار الكتاب العربي،
ط٤، (بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- محمود، حسن احمد، ودكتور احمد ابراهيم الشريف.



٥٨- العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٩٥ م).

- المدور، مروان.

٥٩- الأرمن في التاريخ، منشورات دار مكتبة الحياة، ط ١، (بيروت، ١٩٨٢ م).

ثالثاً: المعاجم.

- الفيروز آبادي، مجد الدين بن محمد بن يعقوب بن عمر الشيرازي، (ت ٨١٦هـ / ١٤١٣ م).

١- القاموس المحيط، (د. م، ١٣٥٢هـ).

- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري، (ت ٧١١هـ / ١٣١١ م).

٢- لسان العرب المحيط، مطبعة دار لسان العرب، بيروت، (لبنان، ١٩٧٠ م).

رابعاً: الدوريات.

- الجنابي، خالد جاسم.

١- الجيش والشرطة، مقالة "بكتاب حضارة العراق"، (بغداد، ١٩٨٤ م).

- خطاب، محمود شيت.

٢- "حبيب بن مسلمة الفهري"، مقالة بمجلة اللغة العربية، ج ١، بيروت، (لبنان، ١٣٩٤هـ /

١٩٧٤ م).

- عبد الهادي، محبوبة.

٣- "وثائق تاريخية من العهد الأول من حكم الدولة السلجوقية"، مقالة في مجلة معهد

المخطوطات العربي، مجلد العاشر، ط ١، (د. م، ١٩٦٤ م).

- عنان، محمود عبد الله.

٤- "موقعة ملاذكرت"، مقالة بمجلة في مجلد الثقافة، العدد ٤٠٠، (د. م، ١٩٤٨ م).

- طرخان، إبراهيم.

٥- "النظام الاقطاعي الإسلامي"، مقالة منشور بالمجلة التاريخية المصرية، المجلد (٦)،

(القاهرة، ١٩٥٧ م).



خامساً: المصادر الأجنبية.

- 1- Aristakes. Ricit cles Malheures de la Nation Armenienne, tr. Cinarol, Bruxelles, 1973.
- 2- Byer, A. A. By Zantine Family. The Gabrades in The Empire of The Trebizod and The Pontus, London, 1980.
- 3- Chen, Clauck: Cambridge Medieval History, Vol. Iv.
- 4- Grosset, Rene. Histore de Croisacles et du Royaume, Paris, 1936.
- 5- Mathieu, Of Edessa: Chronique in R. H. C Arm Doc, Vol I, tr, Dulaurier, Paris, 1858. ch. Xvii.
- 6- Nicophre Bryennion, Les quatres Livres des Histories, Trad, Henri Gregoire Dans Byzantion, T- xxxll. 1953.
- 7- Omen. C. W. chi, A History of The Art of war in The Middle, Ages, London, 1924.
- 8- Pesll, Michael. The chronographia, Trans by E. R. A, Sexter, Baltimore, England, 1966.
- 9- Ramssy. Historical Geography of Asis Mimore, London.
- 10- Rumciman, S. Byzatine Civlistion, London, 1948.
- 11- Vasi Live, A. A. History of Byzantine Empire, Madison, 1928- 1973.

